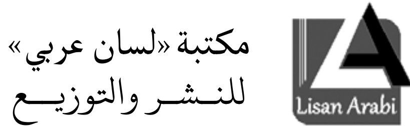
موارد البيان في علوم القرآن

د . محمد عفيف الدين دمياطي



مكتبة «لسان عربي»
للنشر والتوزيع

موارد البيان في علوم القرآن

إعداد وجدولة: د. محمد عفيف الدين دمياطي
الرقم الدولي: 978-602-70113-3-5
الناشر: مكتبة لسان عربي للنشروالتوزيع
سيدورجو – جاوى الشرقية – إندونيسيا
الهاتف: 140 640 615 6281+/652 955 336 6281+
الموقع على الإنترنت: www.penerbit.lisanarabi.net
البريد الألكتروني: penerbit@lisanarabi.net
فسبوك: penerbit lisan arabi
الطبعة الرابعة: ٢٠١٦م / ١٤٣٧هـ
تصميم الغلاف: فينا عون الكافي
إخراج طباعي: فينا عون الكافي

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الرءوف المنان، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الميزان.

وبعد...

فقد قامت دراسات لا حصر لها حول علوم القرآن كمداخل لتفسيره، وبذلت جهود متضافرة لتجلية أسراره، ولا عجب أن تكون جميع تلك الدراسات قد بذلت لخدمة كتاب الله بعد أن عرفوا أنه مصدر الهدى والرشاد للناس ومنبع العلوم والمعارف، كما قال الله تعالى عنه: {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتٰبِ مِنْ شَيْءٍ ج (الأنعام: ٣٨)}. وهو هداية للناس مصداق ذلك قوله تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيْ أُنْزِلَ فِيْهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنٰتٍ مِنَ الْـهُدَىٰ وَالْفُرْقَانَ (البقرة: ١٨٥)}.

وهذه مجموعة من المباحث أقدمها من فيض القرآن الكريم مستعينا فيها بالله أولا ثم بدراسات العلماء الأجلاء، وأنتقيها من كتب علوم القرآن وأختصرها اختصارا وأستعين في بعض الحالات بالجداول واللوحات بهدف تيسير القراء لفهم

الموضوعات المهمة من علوم القرآن. ولعلي أكون قد قدمت إلى المتشوقين إلى دراسة القرآن والتفسير ما يبحثون عنه وأن يستفيدوا مما قدمت لهم من هذا الكتاب المتواضع الذي قد يشبع من جوع ويروي من ظمأ. وعلى من يريد أن يستزيد من علوم القرآن والتفسير أن يرجع إلى أصول الكتب التي تتحدث عنها كالبرهان للزركشي والإتقان للسيوطي ومناهل العرفان للزرقاني والمباحث في علوم القرآن لمناع القطان، فإن فيها ما يشبع ويروي في الموضوعات التي كتبتها خاصة وغيرها مما لا يستغني عنه كل باحث من الاستزادة في العلم عامة.

والله أسأل أن يلهمنا الصواب وأن يهدينا إلى صراطه المستقيم، وأن يتقبل منا هذا العمل بالقبول الحسن وأن يغفر لي ولوالدي ولجميع المؤمنين والمؤمنات، إنه سميع قريب.

د. محمد عفيف الدين دمياطي

محتويات الكتاب

المبحث الأول

معنى علوم القرآن
وبيان نشأتها

إن العلوم المرتبطة بالقرآن أجل قدرا، وأعم نفعا، وأغزر علما، وأكثر فائدة وأجرا. وتلك العلوم لا تحصى، وأسرارها لا تستقصى، فالقرآن مائدة الفقيه والمحدث والنحوي والبياني والزاهد، ... وهلم جرا. كل منهم يقتات منه بنهم دون شبع ولن تنفذ كلمات ربي و لو كانت مثل البحر مددا. ولا يستغرب العاقل ذلك؛ إذ هو معجزة الله في أرضه وحجة الله على خلقه، ودستورهم في شرعته، والنبع الصافي لحكماء هذه الأمة.

معنى علوم القرآن:

العلوم جمع عِلم، والعلم في اللغة مصدر يرادف الفهم والمعرفة. وهو في اصطلاح علماء التدوين المسائل المختلفة المضبوطة بجهة واحدة.

والمراد بعلوم القرآن: مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وأسبابه، وجمع القرآن وترتيبه وكتابته وتفسيره، ومعرفة المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والمُحْكَمِ والمتشابه، ونحو ذلك.

نشأة علوم القرآن:

كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يُفَسِّرُ للصحابة بعض الآيات. وقد حرص الصحابة على تلقي القرآن من رسول الله، وحرصوا كذلك على العمل به والوقوف عند أحكامه. وفي خلافة أبي بكر وعمر ظل الاعتماد في فهم القرآن على الرواية بالتلقين، وفي خلافة عثمان – رضي الله عنه –، جمع المسلمين على مصحف واحد، ويُعتبر هذا بداية «لعلم رسم القرآن». وفي خلافة عليٍّ –رضي الله عنه– وضع أبو الأسود الدؤلي بأمر منه قواعد النحو، ويُعتبر هذا كذلك بداية لـ «علم إعراب القرآن».

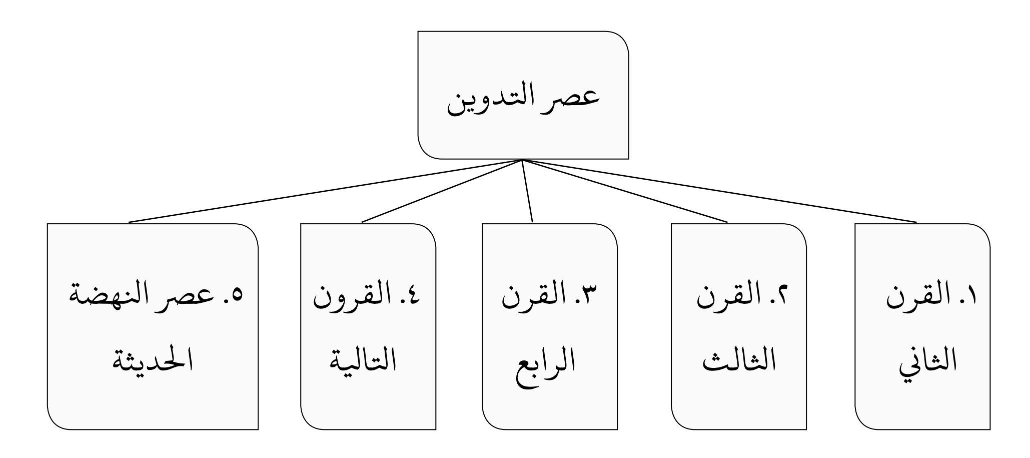
وقد نشأت في عصر الصحابة والتابعين بداية علم التفسير، وعلم غريب القرآن، وعلم أسباب النزول، وعلم المكي والمدني، وعلم الناسخ والمنسوخ.

عصر الصحابة والتابعين

١. ابن عباس بمكة: ومن تلاميذه سعيد بن جبير، ومجاهد، وعِكرمة مولى ابن عباس، وطاوس بن كيسان اليماني، وعطاء بن أبي رباح.

٢. أُبي بن كعب بالمدينة: ومن تلاميذه زيد بن أسلم، وأبو العالية، ومحمد بن كعب القرظي.

٣. عبد الله بن مسعود بالعراق: ومن تلاميذه علقمة بن قيس، ومسروق، والأسود بن يزيد، وعامر الشعبي، والحسن البصري، وقتادة بن دعامة السدوسي.



١. القرن الثاني:

بدأ تدوين الحديث بأبوابه المتنوعة، وجمع بعض العلماء ما رُوِيَ من تفسير للقرآن الكريم عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو عن الصحابة، أو عن التابعين.

واشتهر منهم: يزيد بن هارون السلمي المتوفى سنة ١١٧ هجرية، وشُعْبَة بن الحجاج المتوفى سنة ١٦٠ هجرية، ووكيع بن الجراح المتوفى سنة ١٩٧ هجرية، وسفيان بن عُيينة المتوفى سنة ١٩٨ هجرية، وعبد الرزاق بن همام المتوفى سنة ٢١١ هجرية.

٢. القرن الثالث:

عليٌّ بن المديني شيخ البخاري المتوفى سنة ٢٣٤ هجرية	أسباب النزول
أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هجرية	الناسخ والمنسوخ و القراءات
ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هجرية	مُشْكَل القرآن

٣. القرن الرابع:

محمد بن خلف المرزبان المتوفى سنة ٣٠٩ هجرية	الحاوي في علوم القرآن
أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري المتوفى سنة ٣٢٨ هجرية	علوم القرآن
أبو بكر السجستاني المتوفى سنة ٣٣٠ هجرية	غريب القرآن
محمد بن عليٍّ الأدفوي المتوفى سنة ٣٨٨ هجرية	الاستغناء في علوم القرآن

٤. القرون التالية:

أبو بكر الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣ هجرية	إعجاز القرآن
عليُّ بن إبراهيم بن سعيد الحوفي المتوفى سنة ٤٣٠ هجرية	إعراب القرآن
الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠ هجرية	أمثال القرآن
العز بن عبد السلام المتوفى سنة ٦٦٠ هجرية	مجاز القرآن
علم الدين السخاوي المتوفى سنة ٦٤٣ هجرية	علم القراءات
ابن القيم المتوفى سنة ٧٥١ هجرية	أقسام القرآن

أما أول من جمع هذه المباحث وتلك الأنواع في مؤلَّف واحد فـعَلِي بن إبراهيم بن سعيد الشهير بالحوفي، وكتابه "البرهان في علوم القرآن" يقع في ثلاثين مجلدًا، يجعل العنوان العام في الآية: "القول في قوله عز وجل..." ويذكر الآية، ثم يضع تحت هذا العنوان: "القول في الإعراب" ثم "القول في المعنى والتفسير" ثم "القول في الوقف والتمام" و "القول في القراءة". والحوفي بهذا النهج يعتبر أول من دَوَّن علوم القرآن، وإن كان تدوينه على النمط الخاص الآنف الذكر، وتوفي الحوفي سنة ٤٣٠هـ.

المؤلفون الذين يجمعون المباحث فى علوم القرآن في كتاب واحد:

علي بن إبراهيم بن سعيد الحوفي المتوفي سنة ٤٣٠ هجرية	«البرهان في علوم القرآن»
ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هجرية	«فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن»
بدر الدين الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤ هجرية	«البرهان في علوم القرآن»
جلال الدين البلقيني المتوفى سنة ٨٢٤ هجرية	«مواقع العلوم من مواقع النجوم»
جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هجرية	«الإتقان في علوم القرآن».

٥. عصر النهضة الحديثة

مصطفى صادق الرافعي	«إعجاز القرآن»
الشهيد سيد قطب	«التصوير الفني في القرآن» و«مشاهد القيامة في القرآن»
الشيخ محمد مصطفى المراغي، وبحث فيها لمحب الدين الخطيب	«ترجمة القرآن»
مصطفى صبري	«مسألة ترجمة القرآن»
الدكتور محمد عبد الله دراز	«النبأ العظيم»
محمد جمال الدين القاسمي	مقدمة تفسير «محاسن التأويل»
الشيخ طاهر الجزائري	«التبيان في علوم القرآن»
الشيخ محمد علي سلامة	«منهج الفرقان في علوم القرآن»
محمد عبد العظيم الزرقاني	«مناهل العرفان في علوم القرآن»
الشيخ أحمد أحمد علي	«مذكرة علوم القرآن»
الدكتور صبحي الصالح	«مباحث في علوم القرآن»
الأستاذ أحمد محمد جمال	«على مائدة القرآن»
مناع القطان	«مباحث في علوم القرآن»

هذه المباحث جميعها هي التي تُعرف بعلوم القرآن، حتى صارت عَلَمًا على العلم المعروف بهذا الاسم.

المبحث الثاني

القرآن

إن القرآن الكريم هو منبع العلوم ومفجرها، وأصل الأصول وأسسها، أودعه الله من فنون العلم والحكم العجب العجاب، وبما فيه من الإعجاز أبهر أولي الألباب. وقد أنزله هدى للمتقين بشرط أن يتمسكوا به ويطبقوه في حياتهم اليومية، دون الاكتفاء بتلاوته أو حفظه على جلال قدر التلاوة والحفظ.

تعريف القرآن:

"قرأ": تأتي بمعنى الجمع والضم، والقراءة: ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، والقرآن في الأصل كالقراءة: مصدر قرأ قراءة وقرآنًا. قال تعالى: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وقَرُآنَهُ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (القيامة: ١٧-١٨)}. أي قراءته، فهو مصدر على وزن "فُعلان" بالضم.

وأما القرآن اصطلاحا فهو: "كلام الله، المنزل على محمد -صلى الله عليه وسلم- المنقول عنه بالتواتر، المتعبد بتلاوته".

أسماؤه وأوصافه:

أسماء القرآن	«القرآن»	{إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ (الإسراء: ٩)}.
	«الكتاب»	{لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ (الأنبياء: ٠١)}.
	«الفرقان»	{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (الفرقان: ١)}.
	«الذكر»	{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (الحجر: ٩)}.
	«التنزيل»	{وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (الشعراء: ٢٩١)} إلى غير ذلك مما ورد في القرآن.

وقد غلب من أسمائه: "القرآن" و"الكتاب"، وقال الدكتور محمد عبد الله دراز في النبأ العظيم: "رُوعِيَ في تسميته "قرآنًا" كونه متلوًّا بالألسن، كما رُوعِيَ في تسميته "كتابًا" كونه مدوَّنًا بالأقلام".

أوصاف القرآن	«نور»	{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (النساء: ١٧٤)}.
	«هدى» و«شفاء» و«رحمة» و«موعظة»	{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (يونس: ٧٥)}.
	«مبارك»	{وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْه (الأنعام: ٩٢)}.
	«مبين»	{قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (المائدة:٥١)}.
	«بشرى»	{مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (البقرة: ٧٥)}.
	«عزيز»	{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (فصلت: ١٤)}.
	«مجيد»	{بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (البروج: ١٢)}.
	«بشير» و«نذير»	{كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا (فصلت: ٣-٤)}.

القرآن والحديث القدسي:

الحديث القدسي في الاصطلاح: هو ما يضيفه النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى الله تعالى، فالرسول راوٍ لكلام الله بلفظ من عنده، وإذا رواه أحد رواه عن رسول الله مُسْنَدًا إلى الله عز وجل، فيقول: "قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيما يرويه عن ربه عز وجل....". أو يقول: "قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: قال الله تعالى - أو يقول الله تعالى...".

ومثال الأول: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيما يرويه عن ربه عز وجل: "يد الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحَّاء الليل والنهار...".

ومثال الثاني: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: يقول الله تعالى "أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منه..."

الفرق بين القرآن والحديث القدسي	
١- إن القرآن الكريم كلام الله أَوْحَى به إلى رسول الله بلفظه، وتحدى به العرب، فعجزوا عن أن يأتوا بسورة من مثله، فهو معجزة خالدة إلى يوم الدين.	الحديث القدسي لم يقع به التحدي والإعجاز.
٢- إن القرآن الكريم لا يُنْسَب إلا إلى الله تعالى، فيقال: قال الله تعالى.	الحديث القدسي قد يُرْوَى مضافًا إلى الله وقد يُرْوَى مضافًا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.
٣- إن القرآن الكريم جميعه منقول بالتواتر، فهو قطعي الثبوت.	الأحاديث القدسية أكثرها أخبار آحاد، فهي ظنية الثبوت. وقد يكون الحديث القدسي صحيحًا، وقد يكون حسنًا، وقد يكون ضعيفًا.
٤- إن القرآن الكريم من عند الله لفظًا ومعنًى، فهو وحي باللفظ والمعنى.	الحديث القدسي معناه من عند الله، ولفظه من عند الرسول -صلى الله عليه وسلم- على الصحيح.
٥- إن القرآن الكريم مُتَعَبَّدٌ بتلاوته، فهو الذي تتعين القراءة به في الصلاة.	الحديث القدسي لا يجزئ في الصلاة، ويثيب الله على قراءته ثوابًا عامًّا.

المبحث الثالث

الوحي

إن الوحي لبنة ورمز للحضارة الإسلامية، وهو شرط أساسي لبناء الحضارة الإسلامية المتمثلة في الأخلاق بكل معانيها، والعلم بكل معانيه الديني والدنيوي، والحرية باتساعها المنضبط. فهو لم ينزل على ملك، ولم ينزل على غني، أو على أحد أرباب الدنيا، أو رجل من القريتين عظيم، لكنه نزل على الصادق الأمين الذي لم يعرف عنه الكذب والخيانة لذلك صُدّق فيما أبلغهم بالرسالة حتى من لم يؤمن لم يستطع أن يصف محمدا بالكذب مصداقا لقوله تعالى : {فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ (الأنعام:٣٣)}.

تعريف الوحي:

يقال: وحيت إليه وأوحيت: إذا كلَّمته بما تخفيه عن غيره، والوحي: الإشارة السريعة. والوحي لغة يدل على المعاني التالية:

الوحي لغة

١- الإلهام الفطري للإنسان، كالوحي إلى أُم موسى :
{وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ (القصص: ٧)}.

٢- الإلهام الغريزي للحيوان، كالوحي إلى النحل:
{وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ... (النخل: ٦٨)}.

٣- الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء كإيحاء زكريا فيما حكاه القرآن عنه:
{فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (مريم: ١١)}.

٤- وسوسة الشيطان وتزيينه الشر في نفس الإنسان:
{وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ... (الأنعام: ١٢١)}.

٥- ما يُلقيه الله إلى ملائكته من أمر ليفعلوه:
{إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ ... (الأنفال: ١٢)} .

ووحي الله إلى أنبيائه شرعًا هو: كلام الله تعالى المُنَزَّلُ على نبي من أنبيائه. وهو تعريف له بمعنى اسم المفعول أي الموحى.

والوحي بالمعنى المصدري اصطلاحًا: هو إعلام الله تعالى مَن يصطفيه من عباده ما أراد من هداية بطريقة خفية سريعة.

كيفية وحي الله إلى ملائكته

١- جاء في القرآن الكريم ما ينص على كلام الله لملائكته:

{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا (البقرة: ٣٠)}.

وعلى إيحائه إليهم:

{إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا (الأنعام: ١٢)}.

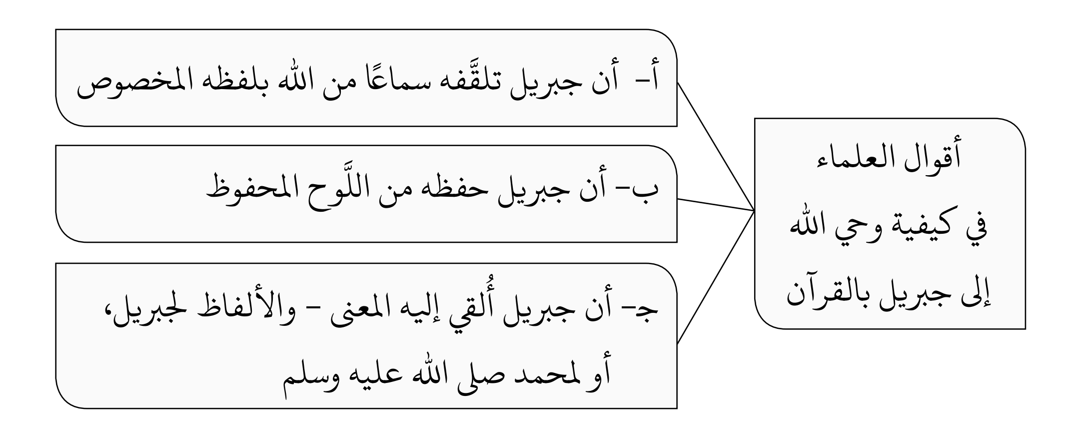
وعلى قيامهم بتدبير شئون الكون حسب أمره: {فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (الذاريات: ٤)}.

وهذه النصوص متآزرة تدل على أن الله يُكَلِّمُ الملائكة دون واسطة بكلام يفهمونه.

٢- ثبت أن القرآن الكريم كُتِبَ في اللَّوح المحفوظ لقوله تعالى: {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ، فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (البروج: ٢١-٢٢)}. كما ثبت إنزاله جملة إلى بيت العزة من السماء الدنيا في ليلة القدر من شهر رمضان: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (القدر: ١)}.

عن ابن عباس موقوفًا: "أُنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا ليلة القدر، ثم أُنزل بعد ذلك بعشرين سنة ثم قرأ : {وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (الفرقان: ٣٣)} ، {وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (الإسراء: ١٠٦)} ، وفي رواية: "فُصِلَ القرآن من الذكر فوُضِعَ في بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل به على النبي –صلى الله عليه وسلم–" أخرجه الحاكم.

ولذلك ذهب العلماء في كيفية وحي الله إلى جبريل بالقرآن إلى المذاهب الآتية:



والرأي الأول هو الصواب، وهو ما عليه أهل السُّنَّة والجماعة، ويؤيده نسبة القرآن إلى الله في أكثر من آية مثل: {وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (النمل: ٦)}.

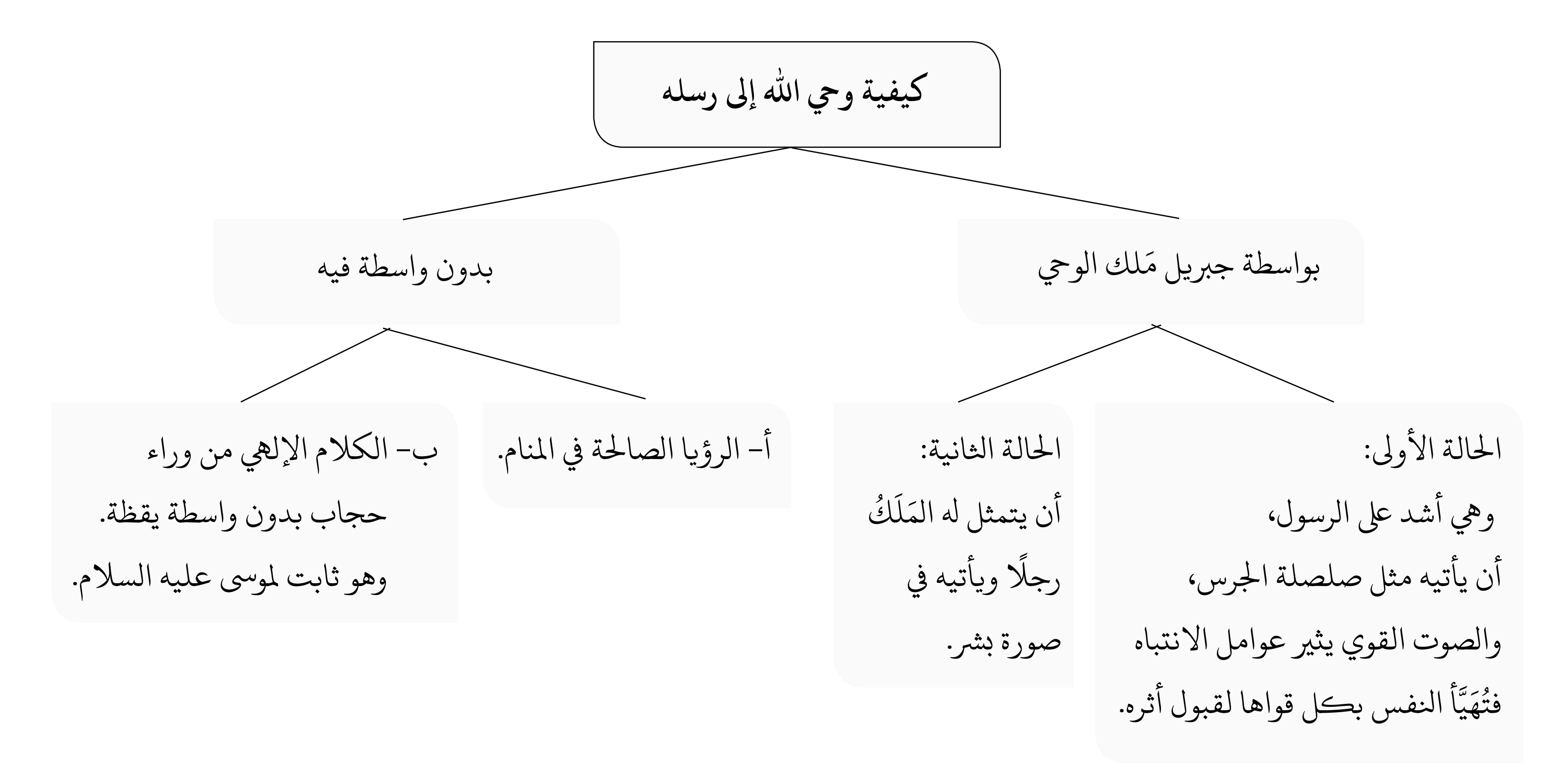
ويُجاب على من قال: إنه كلام جبريل، بأن هذا قول فاسد لوجوه:

أحدها : أن المسلمين أجمعين إذا تلوا آية قالوا: قال الله تعالى ولم يقولوا: قال جبريل.

الثاني : أن هذا الذي بين دفتي المصحف بإجماع المسلمين هو كتاب الله.

الثالث : أن الله تعالى قال: {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ (النحل: ١٠٢)}.

الرابع : أن الله تعالى قال: {وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ (البقرة: ٧٥)}.


كيفية وحي الله إلى رسله
بواسطة جبريل مَلك الوحي
بدون واسطة فيه
الحالة الأولى:
وهي أشد على الرسول،
أن يأتيه مثل صلصلة الجرس،
والصوت القوي يثير عوامل الانتباه
فتُهَيَّأ النفس بكل قواها لقبول أثره.
الحالة الثانية:
أن يتمثل له المَلَكُ
رجلًا ويأتيه في
صورة بشر.
أ- الرؤيا الصالحة في المنام.
ب- الكلام الإلهي من وراء
حجاب بدون واسطة يقظة.
وهو ثابت لموسى عليه السلام.

شُبَهُ الجاحدين على الوحي:

وقد حرص الجاهليون قديمًا وحديثًا على إثارة الشُّبَهِ في الوحي عتوًّا واستكبارًا، وهي شُبَهٌ واهية مردودة.

١- زعموا أن القرآن الكريم من عند محمد -صلى الله عليه وسلم- ابتكر معانيه، وصاغ أسلوبه، وليس وحيًا يُوحَى.

وهذا زعم باطل، فإنه عليه الصلاة والسلام إذا كان يدَّعي لنفسه الزعامة ويتحدى الناس بالمعجزات لتأييد زعامته فلا مصلحة له في أن ينسب ما يتحدى به الناس إلى غيره، وكان في استطاعته أن ينسب القرآن لنفسه، ويكون ذلك كافيًا لرفعة شأنه.

٢- زعم الجاهليون قديمًا وحديثًا أن القرآن لا يخرج عن أن يكون أثرًا للاستنباط العقلي، والإدراك الوجداني عبر عنه محمد بأسلوبه وبيانه.

وهذا مستحيل، لأن القرآن لا يعتمد على الذكاء والاستنباط والشعور. ولا يمكن لمحمد أن يأتي بدقائق الأخبار والأرقام الحسابية الدقيقة والعلوم التفصيلية عن بدء الخلق ونهايته لو لم يكن يوحى إليه وهو الأمي.

٣- زعم الجاهليون قديمًا وحديثًا أن محمدًا قد تلقى العلوم القرآنية على يد معلم.

وهذا حق، إلا أن المعلم الذي تلقى عنه القرآن هو مَلَك الوحي، أما أن يكون له معلم آخر من قومه، أو من غير قومه فلا. لأنه قد نشأ أميا وعاش أميا.

المبحث الرابع

المكي والمدني

إن حياة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رافق نزول القرآن، ونزلت آياته وسوره لتلبّي احتياجات المرحلة التي كانت تعيشها الرسالة، وتتناسب مع الظروف والتطورات التي رافقت الدعوة الإسلامية، وقد شكلت هجرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة المنورة نقطة تحول رئيسية قسمت دعوة الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى مرحلتين متمايزتين، المرحلة المكية والمرحلة المدنية، مرحلة الدعوة التي لم تتجاوز الأفراد ومرحلة الدولة الإسلامية والمجتمع الإسلامي. وقد تبع ذلك تغيّر في طبيعة السور القرآنية النازلة بعد الهجرة.

أهم الأنواع التي يتدارسها العلماء في هذا المبحث

المكي والمدني

١- ما نزل بمكة.

٢- ما نزل بالمدينة.

٣- ما اختُلِفَ به.

٤- الآيات المكية في السور المدنية.

٥- الآيات المدنية في السور المكية.

٦- ما نزل بمكة وحكمه مدني.

٧- ما نزل بالمدينة وحكمه مكي.

٨- ما يشبه نزول المكي في المدني.

٩- ما يشبه نزول المدني في المكي.

١٠- ما حُمل من مكة إلى المدينة.

١١- ما حُمل من المدينة إلى مكة.

١٢- ما نزل ليلًا وما نزل نهارًا.

١٣- ما نزل صيفًا وما نزل شتاءً.

١٤- ما نزل في الحَضَر وما نزل في السَّفَر.

فهذه أنواع أساسية، يرتكز محورها على المكي والمدني، ولذا سُمِّي هذا بـ «علم المكي والمدني». ومن أمثلة ذلك:

١. إن المدنية عشرون سورة: وهي البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، والتوبة، والنور، والأحزاب، ومحمد، والفتح، والحجرات، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والجمعة، والمنافقون، والطلاق، والتحريم، والنصر.
٢. المختلف فيه اثنتا عشرة سورة: وهي الفاتحة، والرعد، والرحمن، والصف، والتغابن، والمطففين، والقدر، والبينة، والزلزلة، والإخلاص، والفلق، والناس.
٣. المكية اثنتان وثمانون سورة: منها الأنعام، والأعراف، ويونس، وهود وغيرها.
٤. الآيات المكية في السور المدنية: ومن أمثلة الآيات المكية في السور المدنية «سورة الأنفال» مدنية، واستثنى منها كثير من العلماء {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (الأنفال: ٦٤)}.
٥. الآيات المدنية في السور المكية: ومن ذلك «سورة الحج» مكية سوى ثلاث آيات نزلت بالمدينة، من أول قوله تعالى: {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ (الحج: ١٩)}.
٦. ما نزل بمكة وحكمه مدني: ويمثلون له بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ... (الحجرات: ١٣)}. فإنها نزلت بمكة يوم الفتح.
٧. ما نزل بالمدينة وحكمه مكي، مثل أوَّل سورة «براءة» نزل بالمدينة، والخطاب فيه لمشركي أهل مكة.
٨. ما يشبه نزول المكي في المدني: مثل قوله تعالى في سورة الأنفال- وهي مدنية: {إِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا ... (الأنفال: ٣٢)}، فإن استعجال المشركين للعذاب كان بمكة.
٩. ما يُشبه نزول المدني في المكي: مثل قوله تعالى في سورة النجم: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ

الْأَثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ (النجم: ٣٢)}. قال الإمام السيوطي: فإن الفواحش كل ذنب فيه حد، والكبائر كل ذنب عاقبته النار، واللَّمم ما بين الحدين من الذنوب، ولم يكن بمكة حد ولا نحوه.

١٠. ما حُمل من مكة إلى المدينة: مثل سورة {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (الأعلى: ١)}.

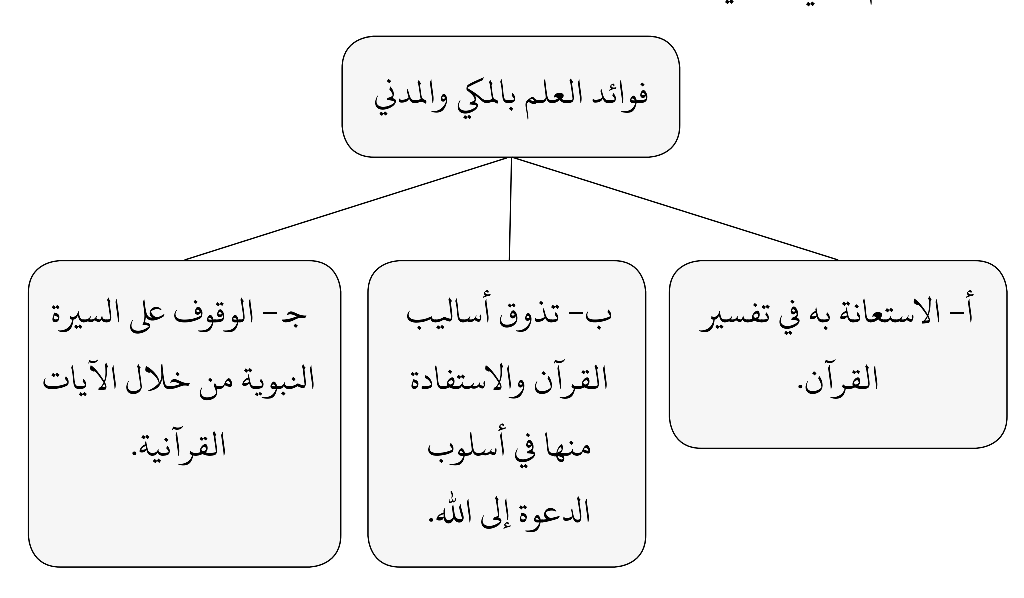
١١. ما حُمل من المدينة إلى مكة: ومن أمثلته أول سورة «براءة».

١٢. ما نزل ليلًا وما نزل نهارًا: أكثر القرآن نزل نهارًا، أما ما نزل بالليل فـ: أواخر آل عمران: ومنها: آية الثلاثة الذين خُلِّفوا، ومنها: أول سورة الفتح.

١٣. ما نزل صيفًا وما نزل شتاءً: ويمثل العلماء لما نزل صيفًا بآية الكلالة التي في آخر سورة النساء، ويمثلون للشتائي بآيات حديث الإفك في سورة النور: {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ (النور: ١١)}.

١٤. ما نزل في الحضر وما نزل في السَّفَر: أكثر القرآن نزل في الحضر، وما نزل في السفر مثل أول سورة الأنفال، نزلت ببدر عقب الواقعة.

فوائد العلم بالمكي والمدني:



معرفة المكي والمدني وبيان الفرق بينهما:

اعتمد العلماء في معرفة المكي والمدني على منهجين أساسيين:

١. المنهج السماعي النقلي يستند إلى الرواية الصحيحة عن الصحابة أو عن التابعين.

٢. المنهج القياسي الاجتهادي يستند إلى خصائص المكي وخصائص المدني.

الفرق بين المكي والمدني:

للعلماء في الفرق بين المكي والمدني ثلاثة آراء اصطلاحية، كل رأي منها بُنِيَ على اعتبار خاص	الأول: اعتبار زمن النزول، فالمكي: ما نزل قبل الهجرة، والمدني: ما نزل بعد الهجرة.
	الثاني: اعتبار مكان النزول، فالمكي: ما نزل بمكة وما جاورها كمِنى وعرفات والحديبية. والمدني: ما نزل بالمدينة وما جاورها كأُحد وقُباء وسلع.
	الثالث: اعتبار المخاطَب، فالمكي: ما كان خطابًا لأهل مكة، والمدني: ما كان خطابًا لأهل المدينة.

ضوابط المكي ومميزاته الموضوعية

١- كل سورة فيها سجدة فهي مكية.

٢- كل سورة فيها لفظ «كلا» فهي مكية، وذُكرت ثلاثًا وثلاثين مرة في خمس عشرة سورة.

٣- كل سورة فيها: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ} وليس فيها: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ} فهي مكية.

٤- كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الغابرة فهي مكية سوى البقرة.

٥- كل سورة فيها آدم وإبليس فهي مكية سوى البقرة كذلك.

ضوابط المدني

١- كل سورة فيها فريضة أو حد فهي مدنية.

٢- كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية سوى العنكبوت فإنها مكية.

٣- كل سورة فيها مجادلة أهل الكتاب فهي مدنية.

أما المميزات الموضوعية والأسلوبية للمدني ففيما يلي:

المميزات الموضوعية والخصائص الأسلوبية للمدني

١- بيان العبادات، والمعاملات، والحدود، ونظام الأسرة، والمواريث، وفضيلة الجهاد، والصلات الاجتماعية، والعلاقات الدولية في السلم والحرب، وقواعد الحكم، ومسائل التشريع.

٢- مخاطبة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ودعوتهم إلى الإسلام، وبيان تحريفهم لكتب الله، وتجنيهم على الحق، واختلافهم من بعد ما جاءهم العلم بغيًا بينهم.

٣- الكشف عن سلوك المنافقين، وتحليل نفسيتهم، وإزاحة الستار عن خباياهم، وبيان خطرهم على الدين.

٤- طول المقاطع والآيات في أسلوب يقرر الشريعة ويوضح أهدافها ومراميها.

المبحث الخامس

معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل

من المقرر لدى العلماء أن القرآن الكريم نزل منجما - أي على دفعات - وذلك خلال مدة قوامها ثلاث وعشرون سنة وذلك لحِكَم عديدة، وبناءاً على ذلك فلا بد أن يكون بعض القرآن قد سبق بعضاً في النزول، ولذا حصل اختلاف كبير بين العلماء في ترتيب نزول الآي والسور، فاختلفوا في أول القرآن نزولاً، واختلفوا في آخره، فضلاً عن أواسط النازل، ولا سيما مع طول فترة النزول القرآني.

أقوال العلماء في أول ما نزل:

أول ما نزل

١- أصح الأقوال أن أول ما نزل هو قوله تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ... (العلق: ١)}

٢- قيل إن أول ما نزل هو قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (المدثر: ١)}.

٣- قيل إن أول ما نزل هو سورة «الفاتحة» ولعل المراد أول سورة كاملة.

٤- قيل: {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} والبسملة تنزل صدرًا لكل سورة.

ويؤيد الرأي الأول ما رواه الشيخان وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: "أول ما بُدِئَ به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم, فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّبَ إليه الخلاء فكان يأتي حِراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة رضي الله عنها فتزوده لمثلها حتى فاجأه الحق وهو في غار حِراء، فجاءه المَلَك فيه فقال: اقرأ، قال رسول الله, صلى الله عليه وسلم: فقلت: "ما أنا بقارئ" ، فأخذني فغطَّني حتى بلغ مني الجَهْد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: "ما أنا بقارئ" ، فغطَّني الثانية حتى بلغ مني الجَهْد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: "ما أنا بقارئ" ، فغطَّني الثالثة حتى بلغ مني الجَهْد ثم أرسلني فقال: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} . حتى بلغ: {مَا لَمْ يَعْلَمْ} ، فرجع بها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ترجف بوادره...".

أوائل موضوعية:

ومن أوائل ما نزل بالنسبة إلى موضوعات خاصة، هي:

١. أول ما نزل في الأطعمة بمكة آية الأنعام، وهي قوله تعالى: {قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا... (الأنعام: ١٤٥)}.

٢. أول آية نزلت في الخمر قوله تعالى: {يَسْأَلونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ... (البقرة: ٢١٩)}.

٣. أول ما نزل في القتال قوله تعالى: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ... (الحج: ٣٩)}.

اختلف العلماء في تحديد آخر ما نزل من الآيات:

آخر ما نزل

١- آية الربا، قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا (البقرة: ٢٧٨)}.

٢- قوله تعالى: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ (البقرة: ٢٨١)}.

٣- آية الدَّيْنِ.: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ (البقرة: ٢٨٢)}.. الآية.

٤- آية الكلالة.: {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ (النساء: ١٧٦)}.

٥- قوله تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ (التوبة: ١٢٨-١٢٩)}... إلى آخر السورة.

٦- سورة المائدة.

٧- قوله تعالى: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ... (آل عمران: ١٩٥)}

٨- آية: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ... (النساء: ٩٣)}.

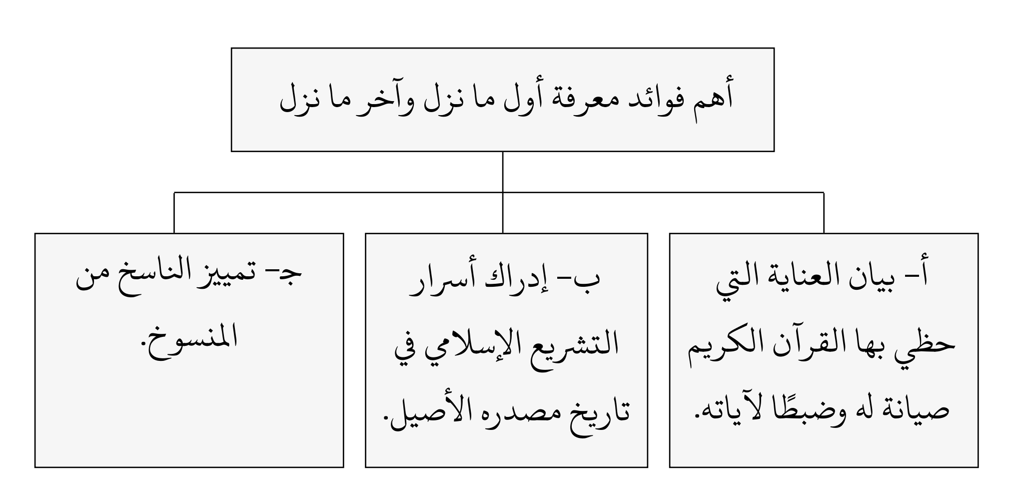
وأصح الأقوال هو الرأي الأول والثاني والثالث للروايات التالية:

أخرج البخاري عن ابن عباس قال آخر آية نزلت آية الربا، والمراد بها قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا. وروى ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال خطبنا عمر فقال إن من آخر القرآن نزولا آية الربا.

أخرج النسائي من طريق عكرمة عن ابن عباس قال آخر شيء نزل من القرآن واتقوا يوما ترجعون فيه الآية. وقال الفريابي في تفسيره حدثنا سفيان عن الكلبي عن ابن صالح عن ابن عباس قال آخر آية نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله الآية وكان بين نزولها وبين موت النبي أحد وثمانون يوما. وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال آخر ما نزل من القرآن كله واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله الآية وعاش النبي بعد نزول هذه الآية تسع ليال ثم مات ليلة الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول.

وأخرج أبو عبيد في الفضائل عن ابن شهاب قال آخر القرآن عهدا بالعرش آية الربا وآية الدين. وأخرج ابن جرير من طريق ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أنه بلغه أن أحدث القرآن عهدا بالعرش آية الدين.

ولا منافاة بين هذه الروايات في آية الربا واتقوا يوما وآية الدين لأن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف ولأنها في قصة واحدة.



المبحث السادس

أسباب النزول

إنّ لمعرفة الزمان والمكان والأشخاص وسائر ظروف الآية أو السّورة أكبر تأثير على إماطة اللثام عن مكنون مرادها. والعكس بالعكس، فالجهل بتلك الأمور يؤدّي إلى تعطيلها ولربّما العمل بخلاف مؤدّاها ومرامها. ولقد قيل (العلم بالسبب يورث العلم بالمسبّب). ولا شكّ أنّ صياغة الآية وطريقة التّعبير عنها يتأثّر إلى حدّ كبير بسبب نزولها. فالاستفهام مثلاً لفظ واحد ولكنّه يخرج إلى معانٍ أخرى كالتقرير والنّفي وغيره ولا يفهم المراد إلّا بالأمور الخارجيّة والقرائن الحاليّة.

تعريف السبب:

سبب النزول هو: " ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال". وسبب النزول قاصر على أمرين:

١- أن تحدث حادثة فيتنزل القرآن الكريم بشأنها.

٢- أن يُسأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن شيء فيتنزل القرآن ببيان الحكم فيه.

ما يُعْتَمد عليه في معرفة سبب النزول

١- صحة الرواية عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

٢- صحة الرواية عن الصحابة.

٣- ذهب «السيوطي» إلى أن قول التابعي إذا كان صريحًا في سبب النزول فإنه يُقْبَل.

فوائد معرفة سبب النزول

أ- بيان الحكمة التي دعت إلى تشريع حكم من الأحكام وإدراك مراعاة الشرع للمصالح العامة.

ب- تخصيص حكم ما نزل إن كان بصيغة العموم بالسبب.

جـ- إذا كان لفظ ما نزل عامًّا وورد دليل على تخصيصه فمعرفة السبب تُقصر التخصيص على ما عدا صورته.

د- معرفة سبب النزول خير سبيل لفهم معاني القرآن، وكشف الغموض.

هـ- يوضح سبب النزول مَن نزلت فيه الآية حتى لا تُحمل على غيره بدافع الخصومة والتحامل.

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب:

إذا اتفق ما نزل مع السبب في العموم، أو اتفق معه في الخصوص، حُمل العام على عمومه، والخاص على خصوصه.

أما إذا كان السبب خاصًّا ونزلت الآية بصيغة العموم فقد اختلف الأصوليون، أتكون العبرة بعموم اللفظ أم بخصوص السبب؟

١. فذهب الجمهور إلى أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالحكم الذي يؤخذ من اللفظ العام يتعدى صورة السبب الخاص إلى نظائرها.

٢. وذهب جماعة إلى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ.

والرأي الراجح والأصح هو الأول، وهو الذي يتفق مع عموم أحكام الشريعة، والذي سار عليه الصحابة والمجتهدون من هذه الأمة فعدوا بحكم الآيات إلى غير صورة سببها نظرا إلى عموم لفظها، كآيات اللِّعان التي نزلت في قذف هلال بن أمية زوجته: "فقد روى البخاري والترمذي وابن ماجه عن ابن عباس: أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي -صلى الله عليه وسلم- بشريك بن سحماء. فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "البيِّنَةُ وإلا حدٌّ في ظهرك" فقال: يا رسول الله. إذا رأى أحدنا على امرأته رجلًا ينطلق يلتمس البيِّنَة؟ فجعل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "البيِّنَة وإلا حدٌّ في ظهرك"، فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، وليُنزلنّ الله ما يبرئ ظهري من الحد، ونزل جبريل فأنزل عليه: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ}... حتى بلغ: {إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (النور: ٦-٩)}. فيتناول الحكم المأخوذ من هذا اللفظ العام: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ} غير حادثة هلال دون حاجة إلى دليل آخر.

صيغة سبب النزول

١. نص صريح في السببية إذا قال الراوي: «سبب نزول هذه الآية كذا»، أو إذا قال: «حدث كذا» أو «سُئِلَ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن كذا فنزلت الآية» -.

٢. صيغة محتملة للسببية ولما تضمنته الآية من الأحكام إذا قال الراوي: «نزلت هذه الآية في كذا». وإذا قال: "أحسب هذه الآية نزلت في كذا" أو "ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في كذا".

موقف المفسر من تعدد الروايات في سبب النزول

أ- إذا لم تكن الصيغ الواردة صريحة مثل: «نزلت هذه الآية في كذا» أو «أحسبها نزلت في كذا» فلا منافاة بينها.

ب- إذا كانت إحدى الصيغ غير صريحة كقوله: «نزلت في كذا» وصرح آخر بذكر سبب مخالف فالمُعتمد ما هو نص في السببية.

ج- إذا تعددت الروايات وكانت جميعها نصًّا في السببية وكان إسناد أحدها صحيحًا دون غيره فالمُتعمد الرواية الصحيحة.

د- إذا تساوت الروايات في الصحة ووُجِدَ وجه من وجوه الترجيح كحضور القصة مثلًا أو كون إحداها أصح قُدِّمت الرواية الراجحة.

و- إن لم يمكن الجمع لتباعد الزمن فإنه يُحْمَل على تعدد النزول وتكرره.

تعدد النزول مع وحدة السبب:

قد يتعدد ما ينزل والسبب واحد، ولا شيء في ذلك، فقد ينزل في الواقعة الواحدة آيات عديدة في سور شتى. ومثال ذلك ما أخرجه الحاكم عن أم سلمة -رضي الله عنها- أنها قالت: يا رسول الله: تذكر الرجال ولا تذكر النساء، فأنزلتْ: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ (الأحزاب: ٣٥)} و {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ (آل عمران: ١٩٥)}.

تقدم نزول الآية على الحكم:

يذكر الإمام الزركشي في البرهان نوعًا يتصل بأسباب النزول يسميه: "تقدم نزول الآية على الحكم"، والمثال الذي ذكره في ذلك لا يدل على أن الآية تنزل في حكم خاص ثم لا يكون العمل بها إلا مؤخرًا، وإنما يدل على أن الآية قد تنزل بلفظ مجمل يحتمل أكثر من معنى ثم يُحمل تفسيرها على أحد المعاني فيما بعد فتكون دليلًا على حكم متأخر.

وهذا كقوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (الأعلى: ١٤)} فإنه يُستدل بها على زكاة الفطر، مع أن السورة مكية، ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة. وصرح البغوي في تفسيره بأنه يجوز أن يكون النزول سابقًا على الحكم، كما قال: {لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ، وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (البلد: ١-٢)}، فالسورة مكية، وظهر أثر الحل يوم فتح مكة، ثم استدل البغوي بحديث البخاري ومسلم أن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال: "...وإنما أُحلتْ لي ساعةً من نهار...".

تعدد ما نزل في شخص واحد:

قد يحدث لشخص واحد من الصحابة أكثر من واقعة، ويتنزل القرآن بشأن كل واقعة منها، فيتعدد ما نزل بشأنه بتعدد الوقائع، ومثاله: ما رواه البخاري عن سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- قال: «نزلت فيَّ أربع آيات من كتاب الله عز وجل» وموافقات عمر -رضي الله عنه-، فقد نزل الوحي موافقًا لرأيه في عدة آيات.

المناسبات بين الآيات والسور:

والمناسبة هي: وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أوبين السورة والسورة. وهي أمر توفيقي يعتمد على الاجتهاد.

فوائد معرفة المناسبة	إدراك اتساق المعاني
	إدراك إعجاز القرآن البلاغي
	إدراك إحكام بيانه
	إدراك انتظام كلامه
	إدراك روعة أسلوبه

المبحث السابع

نزول القرآن

إن القرآن الكريم نعمة السماء إلى الأرض، وحلقة الوصل بين العباد وخالقهم، نزل به الروح الأمين، على قلب رسوله الكريم بالحق ليكون للعالمين نذيراً، وهادياً ونصيراً. وكيفية نزول القرآن على الرسول -صلى الله عليه وسلم- من الأمور التي تستوقف المؤمن وتلح عليه بالسؤال، كيف نزل القرآن الكريم، وما هي المراحل التي استغرقها نزوله، وهل نزل جملة واحدة، على قلب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أم نزل منجما على فترات متباعدة.

نزول القرآن جملة:

يقول الله تعالى في كتابه العزيز: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ (البقرة: ١٨٥)}، ويقول: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (القدر: ١)}، ويقول: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ (الدخان: ٣)}.

مذاهب العلماء في معنى النزول

١- المذهب الأول: جمهور العلماء: أن المراد بنزول القرآن في تلك الآيات الثلاث نزوله جملة واحدة إلى بيت العزة من السماء الدنيا .

٢- المذهب الثاني: عن الشعبي: أن المراد بنزول القرآن في الآيات الثلاث ابتداء نزوله على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

٣- مذهب ثالث: يرى أن القرآن أُنزل إلى السماء الدنيا في ثلاث وعشرين ليلة قدر في كل ليلة منها ما يُقَدِّرُ الله إنزاله في كل السنة.

فالراجح أن القرآن الكريم له تنزلان:

الأول: نزوله جملة واحدة في ليلة القدر إلى بيت العزة من السماء الدنيا.

الثاني: نزوله من السماء الدنيا إلى الأرض مفرقًا في ثلاث وعشرين سنة.

نزول القرآن مُنَجَّمًا

يقول تعالى في التنزيل: {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ, نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ, بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (الشعراء: ١٩٢-١٩٥)}، ويقول: {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (النحل: ١٠٢)}.

وقد نزل القرآن مُنَجَّمًا في ثلاث وعشرين سنة منها ثلاث عشرة بمكة على الرأي الراجح، وعشر بالمدينة، وجاء التصريح بنزوله مفرَّقًا في قوله تعالى: {وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (الإسراء: ١٠٦)}، أي جعلنا نزوله مفرقًا كي تقرأه على الناس على مهل وتثبت، ونزَّلناه تنزيلًا بحسب الوقائع والأحداث.

حكمة نزول القرآن مُنَجَّمًا

١- الحكمة الأولى: تثبيت فؤاد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

٢- الحكمة الثانية: التحدي والإعجاز.

٣- الحكمة الثالثة: تيسير حفظه وفهمه.

٤- الحكمة الرابعة: مسايرة الحوادث والتدرج في التشريع.

٥- الحكمة الخامسة: الدلالة القاطعة على أن القرآن الكريم تنزيل من حكيم حميد.

المبحث الثامن

جمع القرآن وترتيبه

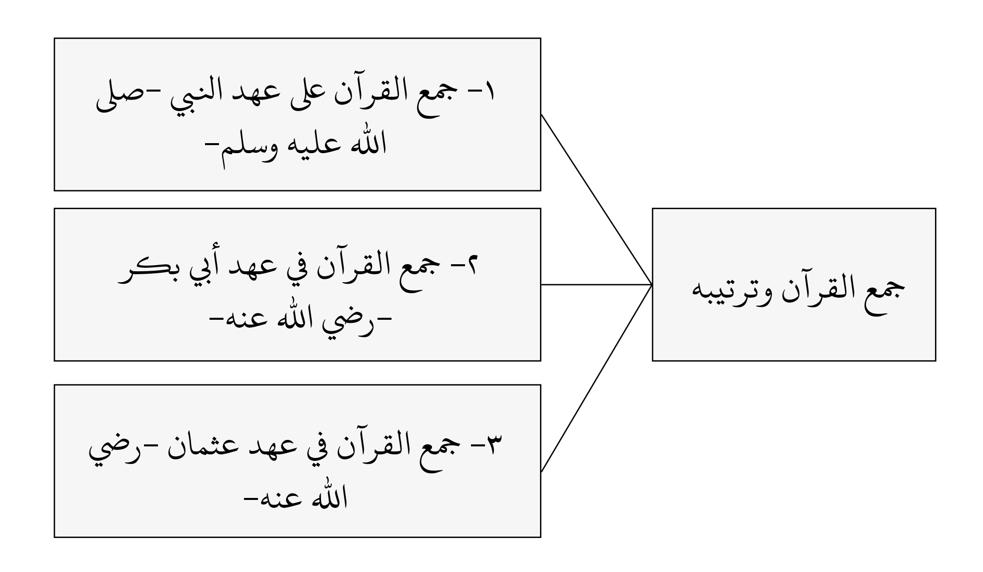
لقد أخذ الله سبحانه على نفسه حفظ كتابه لتقوم به الحجة على الخلق، وتتضح به المحجة لأهل الصدق والحق فقال سبحانه: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (الحجر: ٩)} ، فحفظه من زيادة ما ليس منه فيه، أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه، وحفظه من شياطين الإنس والجن حتى لا يزيدوا فيه حرفا أو ينقصوه وليس في العالم كله كتاب يحظى بوسائل الحفظ والصون لكل كلمة من كلماته ولكل حرف من حروفه غير القرآن الكريم.

معنى جمع القرآن:

يُطلق جمع القرآن على أحد معنيين.

المعنى الأول: جمعه بمعنى حفظه، وجماع القرآن: حفاظه.

المعنى الثاني: جمع القرآن بمعنى كتابته كله، مفرَّق الآيات والسور، أو مرتب الآيات فقط.



١- جمع القرآن على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم-:

أ- جمع القرآن بمعنى حفظه على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم-:

كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مولعًا بالوحي، يترقب نزوله عليه بشوق، فيحفظه ويفهمه، مصداقًا لوعد الله: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (القيامة: ١٧)}، فكان بذلك أول الحُفَّاظ، ولصحابته فيه الأسوة الحسنة، شغفًا بأصل الدين ومصدر الرسالة. وقد أورد البخاري في صحيحه بثلاث روايات تدل على أن من الحفَّاظ في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- سبعة، وهم: عبد الله بن مسعود، وسالم بن معقل مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأُبَيِّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو زيد بن السكن، وأبو الدرداء.

لقد روى البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: "سمعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأُبَيِّ بن كعب". وهؤلاء الأربعة: اثنان من المهاجرين هما:

عبد الله بن مسعود وسالم، واثنان من الأنصار هما: معاذ وأُبَي. وروى أيضا عن قتادة قال: "سألت أنس بن مالك: مَن جمع القرآن على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟ فقال: أربعة، كلهم من الأنصار: أُبَي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، قلت: مَن أبو زيد؟ قال: أحد عمومتي". وروى أيضا من طريق ثابت عن أنس قال: "مات النبي -صلى الله عليه وسلم- ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد".

ب- جمع القرآن بمعنى كتابته على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم-:

اتخذ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كتَّابًا للوحي من أجلَّاء الصحابة. كعلي، ومعاوية، وأُبَي بن كعب، وزيد بن ثابت، تنزل الآية فيأمرهم بكتابتها، ويرشدهم إلى موضعها من سورتها، حتى تُظاهِر الكتابة في السطور، الجمع في الصدور. كما كان بعض الصحابة يكتبون ما ينزل من القرآن ابتداء من أنفسهم، دون أن يأمرهم النبي -صلى الله عليه وسلم- فيخطونه في العسب، واللِّخاف، والكرانيف، والرقاع، والأقتاب، وقطع الأديم، والأكتاف، عن زيد بن ثابت قال: "كنا عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نُؤلِّف القرآن من الرقاع".

٢- **جمع القرآن في عهد أبي بكر -رضي الله عنه-:**

قام أبو بكر بإشارة من عمر بجمع القرآن وكتابته خشية الضياع، ثم أرسل إلى زيد بن ثابت لمكانته في القراءة والكتابة والفهم والعقل، وبدأ زيد بن ثابت في مهمته الشاقة معتمدًا على المحفوظ في صدور القرَّاء، والمكتوب لدى الكتبة، وبقيت تلك الصحف عند أبي بكر، حتى إذا توفي سنة ثلاث عشرة

للهجرة صارت بعده إلى عمر، وظلت عنده حتى مات، ثم كانت عند حفصة ابنته صدرًا من ولاية عثمان حتى طلبها عثمان من حفصة.

٣- **جمع القرآن في عهد عثمان -رضي الله عنه-:**

أجمع أكبر الصحابة على نسخ الصحف الأولى التي كانت عند أبي بكر، وجمع الناس عليها بالقراءات الثابتة على حرف واحد، فأرسل عثمان إلى حفصة، فأرسلت إليه بتلك الصحف، ثم أرسل إلى زيد بن ثابت الأنصاري، وإلى عبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام القرشيين، فأمرهم أن ينسخوها في المصاحف، وأن يُكتب ما اختلف فيه زيد مع رهط القرشيين الثلاثة بلسان قريش فإنه نزل بلسانهم.

اختلاف العلماء في عدد المصاحف التي أرسل بها عثمان إلى الآفاق	أ- كان عددها سبعة. أرسلت إلى: مكة، والشام, والبصرة، والكوفة، واليمن، والبحرين، والمدينة.
	ب- كان عددها أربعة، العراقي، والشامي، والمصري، والمصحف الإمام، أو الكوفي، والبصري، والشامي، والمصحف الإمام.
	جـ- كان عددها خمسة، وذهب السيوطي إلى أن هذا هو المشهور.

أما الصحف التي رُدَّت إلى حفصة فقد ظلت عندها حتى ماتت. ثم غُسلت غسلًا وقيل أخذها مروان بن الحكم وأحرقها. وجمع عثمان للقرآن هو المسمى بالجمع الثالث، وكان سنة ٢٥ هجرية.

شُبَه مردودة:

أهم شُبَه يثيرها أهل الأهواء لتوهين الثقة بالقرآن	١-قالوا: إن الآثار قد دلت على أن النبي قد أسقط من القرآن شيئا لم يُكتب في المصاحف التي بأيدينا اليوم. ويجاب عن هذا بأن إسقاط النبي آية أو آيات نسيانًا لا يشكك في جمع القرآن، فالنسيان جائز على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيما لا يخل بالتبليغ، وكانت هذه الآيات قد حفظها رسول الله، واستكتبها كتاب الوحي، وحفظها الصحابة في صدورهم، وبلغ حفظها وكتابتها مبلغ التواتر، فنسيان الرسول -صلى الله عليه وسلم- لها بعد ذلك لا يؤثر في دقة جمع القرآن.
	٢- قالوا: إن في القرآن ما ليس منه، واستدلوا على ذلك بما رُوِيَ من أن ابن مسعود أنكر أن المعوذتين من القرآن. ويُجاب عن ذلك بأن ما نُقِلَ عن ابن مسعود -رضي الله عنه- لم يصح، وهو مخالف لإجماع الأمة، وهو باطل وكذب عليه. وعلى فرض صحته، فالذي يُحتمل: أن ابن مسعود لم يسمع المعوذتين من النبي -صلى الله عليه وسلم- فتوقف في أمرهما.
	٣- يزعم نفر من غلاة الشيعة أن أبا بكر وعمر وعثمان حرَّفوا القرآن، وأسقطوا بعض آياته وسوره، فحرفوا لفظ: {أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ (النحل: ٩٢)} ، والأصل: «أئمة هي أزكى من أئمتكم»، وأسقطوا من سورة «الأحزاب» آيات فضائل أهل البيت وقد كانت في طولها مثل سورة «الأنعام»، وأسقطوا سورة الولاية بتمامها من القرآن. ويُجاب عن ذلك بأن هذه الأقوال باطلة لا سند لها، وكاذبة لا صحة فيها، ودعاوي لا بيِّنة عليها، وقد تبرأ بعض علماء الشيعة من هذه الأكاذيب.

ترتيب الآيات والسور:

- ترتيب الآيات:

وترتيب الآيات في القرآن الكريم توقيفي عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

- ترتيب السور:

اختلاف العلماء في ترتيب السور

أ- إنه توقيفي، تولاه النبي -صلى الله عليه وسلم- كما أخبر به جبريل عن أمر ربه.
ب- إن ترتيب السور باجتهاد من الصحابة بدليل اختلاف مصاحفهم في الترتيب.
جـ- قيل: إن بعض السور ترتيبه توقيفي وبعضها باجتهاد الصحابة.

سور القرآن وآياته:

أقسام سور القرآن أربعة

١- الطوال.

الطوال سبع: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والسابعة، قيل: هي الأنفال وبراءة معًا لعدم الفصل بينهما بالبسملة. وقيل: هي يونس.

٢- المئون.

المئون: التي تزيد آياتها على مائة أو تقاربها.

٣- المثاني.

المثاني: هي التي تليها في عدد الآيات.

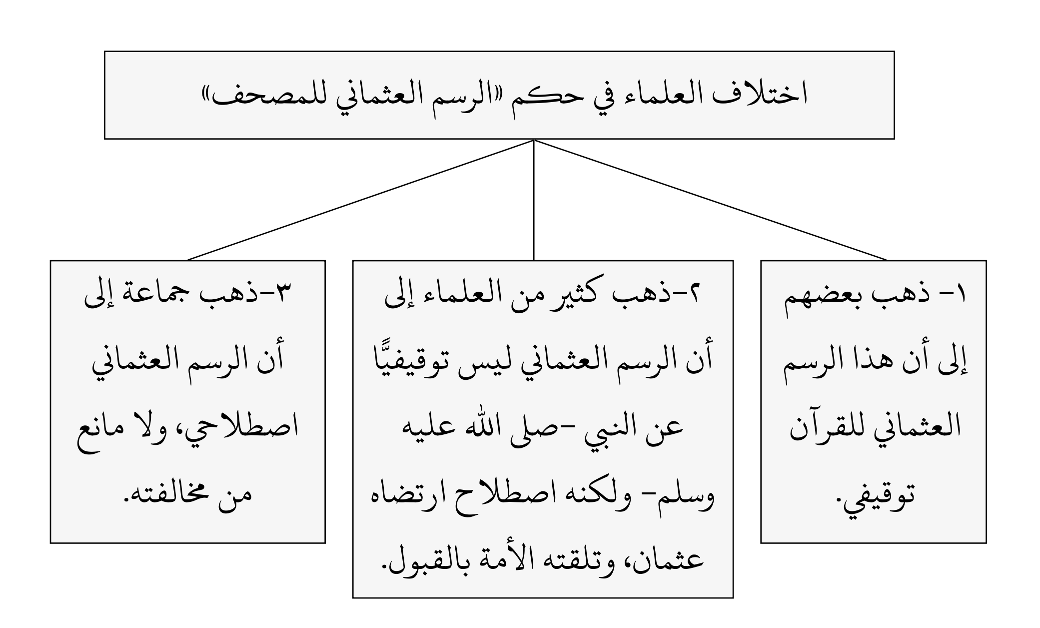
٤- المفصَّل.

المفصَّل: قيل: من أول سورة "ق"، وقيل: من أول "الحجرات

وعدد السور: مائة وأربع عشرة سورة، وقيل: وثلاث عشرة بجعل الأنفال وبراءة سورة واحدة. أما عدد الآيات فستة آلاف ومائتا آية، واختلفوا فيما زاد عن ذلك. وأطول الآيات آية الدَّيْن، وأطول السور سورة البقرة.

الرسم العثماني

الرسم العثماني للمصحف هو طريقة خاصة في الكتابة ارتضاها للكتّاب عثمان نسبة إليه.



تحسين الرسم العثماني:

كانت المصاحف العثمانية خالية من النقط والشكل. ثم تدرج تحسين رسم المصحف، فكان الشكل في الصدر الأول نقطة، فالفتحة نقطة على أول الحرف، والضمة على آخره، والكسرة تحت أوله. ثم كان الضبط بالحركات المأخوذة من الحروف.

الفواصل ورءوس الآي:

الفواصل ورءوس الآي

- الفاصلة :
الكلام المنفصل مما بعده، وقد يكون رأس آية وقد لا يكون، وتقع الفاصلة عند نهاية المقطع الخطابي، سميت بذلك لأن الكلام ينفصل عندها.

- رأس الآية:
نهايتها التي توضع بعدها علامة الفصل بين آية وآية.

أنواع الفواصل في القرآن الكريم

أ- الفواصل المتماثلة، كقوله تعالى:
{وَالطُّورِ، وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ، فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ، وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (الطور: ١-٤)}.

ب- الفواصل المتقاربة في الحروف، كقوله تعالى:
{الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (الفاتحة: ٣-٤)}.

جـ- المتوازي، وهو أن تتفق الكلمتان في الوزن وحروف السجع، كقوله تعالى:
{فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ، وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (الغاشية: ١٢-١٤)}.

د- المتوازن، وهو أن يُراعى في مقاطع الكلام الوزن فقط كقوله تعالى:
{وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ، وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (الغاشية: ١٥-١٧)} .

ما يُراعى في الفواصل

١ - زيادة حرف، كقوله تعالى:
{وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (الأحزاب: ١٠)}، بإلحاق ألف.

٢ - حذف حرف، كقوله تعالى:
{وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (الفجر: ٤)}، بحذف الياء.

٣- تأخير ما حقه التقديم لنكتة بلاغية أخرى، كتشويق النفس إلى الفاعل في قوله تعالى:
{فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (طه: ٦٧)} .

المبحث التاسع

نزول القرآن على سبعة أحرف

إن الله -سبحانه- جعل القرآن ميسرا للحفظ والفهم والتلاوة: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (القمر: ١٧)}. قال العلامة ابن سعدي في تفسيره: "أي ولقد يسرنا وسهلنا هذا القرآن الكريم، ألفاظه للحفظ والأداء، ومعانيه للفهم والعلم، لأنه أحسن الكلام لفظا، وأصدقه معنى، وأبينه تفسيرا، فكل من أقبل عليه يسر الله عليه مطلوبه غاية التيسير، وسهله عليه ...". ومن تيسير الله للقرآن تيسير قراءته؛ ولذلك فقد أنزله الله على سبعة أحرف لتيسير قراءته على جميع أصحاب اللهجات المختلفة.

حديث نزول القرآن على سبعة أحرف:

أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: "قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "أقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف". وأخرجا عن عمر في حديث طويل، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إن هذا القرآن أُنْزل على سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسَّر منها".

معنى الأحرف السبعة:

اختلاف العلماء في المراد بها والترجيح بينها

أ- ذهب أكثر العلماء إلى أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد. وهي لغات: قريش، وهذيل، وثقيف، وهوازن، وكنانة، وتميم، واليمن. وهو الراجح عند الجمهور.

ب- قال قوم: إن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب نزل عليها القرآن، على معنى أنه في جملته لا يخرج في كلماته عن سبع لغات هي أفصح لغاتهم.

ج- ذكر بعضهم أن المراد بالأحرف السبعة أوجه سبعة: من الأمر، والنهي، والوعد، والوعيد، والجدل، والقصص، والمثل.

د- ذهب جماعة إلى أن المراد بالأحرف السبعة، وجوه التغاير السبعة التي يقع فيها الاختلاف، وهي:

١- اختلاف الأسماء بالإفراد، والتذكير وفروعهما: "التثنية، والجمع، والتأنيث" كقوله تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (المؤمنون: ٨)}، قرئ "لأماناتهم" بالجمع، وقرئ "لأمانتهم" بالإفراد.

٢- الاختلاف في وجوه الإعراب، كقوله تعالى: {مَا هَذَا بَشَرًا (يوسف: ٣١)}، قرأ الجمهور بالنصب، وقرأ ابن مسعود: { مَا هَذَا بَشَرٌ} بالرفع.

٣- الاختلاف في التصريف: كقوله تعالى: {فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا (سبأ: ١٩)}، قُرِئ بنصب «ربَّنا» ، و«بَاعِد» بصيغة الأمر، وقُرِئ «ربُّنا» بالرفع، و«باعَد» بفتح العين.

٤- الاختلاف بالتقديم والتأخير، إما في الحرف، كقوله تعالى: {أَفَلَمْ يَيْأَسِ (الرعد: ٣١)}، وقُرِئ «أفلم يأيس» وإما في الكلمة كقوله تعالى: {فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ (التوبة: ١١١)} ، بالبناء للفاعل في الأول، وللمفعول في الثاني، وقُرِئ بالعكس، أي بالبناء للمفعول في الأول، وللفاعل في الثاني.

٥- الاختلاف بالإبدال: كقوله تعالى: {وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا (البقرة:٢٥٩)}، قُرِئ بـ نُنْشِزُهَا، وقُرِئَ بـ نَنْشُرُهَا.

٦- الاختلاف بالزيادة والنقص: فالزيادة كقوله تعالى: {وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ (التوبة: ١٠٠)}، قُرِئ «مِنْ تحتها الأنهار» بزيادة «مِنْ» وهما قراءتان متواترتان. والنقصان كقوله تعالى: {وَقَالُوْا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا (البقرة: ١١٦)} فقد قرئ بدون واو.

٧- اختلاف اللهجات بالتفخيم والترقيق، والفتح والإمالة، والإظهار والإدغام، والهمز والتسهيل، والإشمام ونحو ذلك، كالإمالة وعدمها في مثل قوله تعالى: {وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (طه: ٩)}.

هـ- ذهب بعضهم إلى أن العدد سبعة لا مفهوم له، وإنما هو رمز إلى ما أَلِفَه العرب من معنى الكمال في هذا العدد.

و- قال جماعة: إن المراد بالأحرف السبعة، القراءات السبع.

يؤيد الرأي الأول أحاديث كثيرة، منها:

١. ما أخرجه أحمد: "قرأ رجل عند عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– فغيَّر عليه، فقال: لقد قرأت على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فلم يُغيِّر علي، قال: فاختصما عند النبي –صلى الله عليه وسلم– فقال: يا رسول الله، ألم تُقرئني آية كذا وكذا؟ قال: بلى ! قال: فوقع في صدر عمر شيء، فعرف النبي –صلى الله عليه وسلم– ذلك في وجهه، قال: فضرب صدره وقال: "ابعَدْ شيطانًا" –قالها ثلاثًا– ثم قال: "يا عمر، إن القرآن كله صواب ما لم تجعل رحمة عذابًا أو عذابًا رحمة".

٢. ما رواه أحمد عن بسر بن سعيد: "أن أبا جُهَيْم الأنصاري أخبره: أن رجلين اختلفا في آية من القرآن، فقال هذا: تلقيتها من رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وقال الآخر: تلقيتها من رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فسألا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عنها، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "إن القرآن نزل على سبعة أحرف، فلا تماروا في القرآن، فإن المراء فيه كفر".

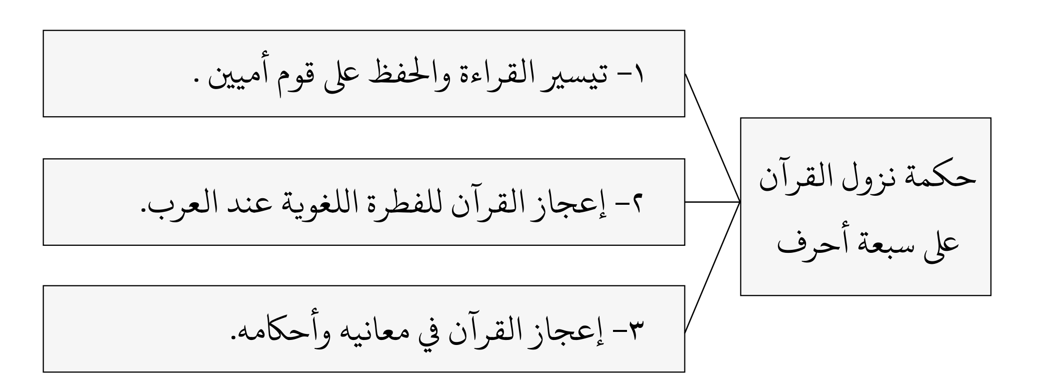
٣. ما رواه الطبري برجال الصحيح عن الأعمش قال: "قرأ أنس هذه الآية: "إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأصوب قيلًا"، فقال له بعض القوم: يا أبا حمزة، إنما هي "وأقوم" فقال أنس: أقوم وأصوب وأهيأ واحد".

واختار الشيخ الزرقاني صاحب مناهل العرفان الرأي الرابع لأسباب، منها:

١. إن كلمة "على" في قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أنزل القرآن على سبعة أحرف" تشير إلى أن المسألة على هذا الشرط من التوسعة والتيسير، أي أنزل القرآن موسعا فيه على القارئ أن يقرأه على سبعة أوجه، يقرأ بأي حرف أراد منها على البدل من صاحبها. وليس المراد أن كل كلمة من القرآن تُقرأ على سبعة أوجه؛ إذًا لقال: "إن هذا القرآن أنزل سبعة أحرف" بحذف حرف "على".

٢. إن هذا المذهب لا يلزمه محذور من المحذورات التي يمكن أن ترد على المذاهب الأخرى.

٣. إن هذا الرأي يعتمد على الاستقراء التام لاختلاف القراءات وما ترجع إليه من الوجوه السبعة، بخلاف غيره فإن استقراءه ناقص.



المبحث العاشر

القراءات والقراء

إن القراءات وحي تلقاه الرسول -صلى الله عليه وسلم- من جبريل وقرأه الرسول -صلى الله عليه وسلم- على الصحابة الكرام ونقلت عنه بالتواتر، ومن المعلوم أن الصحابة رضي الله عنهم قد اختلف أخذهم عن الرسول -صلى الله عليه وسلم-، فمنهم من أخذ منه بطريقة ما، ومنهم من أخذ منه بطريقة أخرى، ثم تفرقوا في البلاد وهو على هذه الحال فاختلف بسبب ذلك أخذ التابعين عنهم وأخذ تابعي التابعين عنهم وهلم جرا... حتى وصل الأمر على هذا النحو إلى الأئمة القراء الذين سجلوا هذه القراءات واشتهروا بها.

تعريف القراءات:

القراءات: جمع قراءة، مصدر قرأ بمعنى الجمع، وهي في الاصطلاح العلمي: مذهب يذهب إليه إمام من الأئمة القرَّاء مخالف به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه.

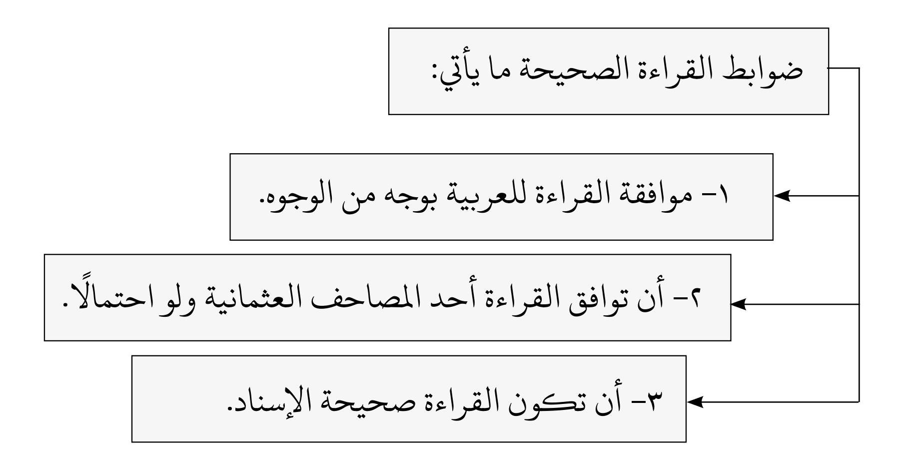
اشتهر بالإقراء من الصحابة	أُبَي بن كعب، وعلي، وزيد بن ثابت، وابن مسعود، وأبو موسى الأشعري.	
اشتهر بالإقراء من التابعين	«بالمدينة»	ابن المسيب، وعروة، وسالم، وعمر بن عبد العزيز، وسليمان وعطاء ابنا يسار، ومعاذ بن الحارث المعروف بمعاذ القارئ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، وابن شهاب الزهري، ومسلم بن جندب، وزيد بن أسلم.
	«بمكة»	عبيد بن عمير، وعطاء بن أبي رباح، وطاوس، ومجاهد، وعكرمة، وابن أبي مليكة.
	«بالكوفة»	علقمة، والأسود، ومسروق، وعبيدة، وعمرو بن شرحبيل، والحارث بن قيس، وعمرو بن ميمون، وأبو عبد الرحمن السلمي، وسعيد بن جبير، والنخعي، والشعبي.
	«بالبصرة»	أبو عالية، وأبو رجاء، ونصر بن عاصم، ويحي بن يعمر، والحسن، وابن سيرين، وقتادة.
	«بالشام»	المغيرة بن أبي شهاب المخزومي، صاحب عثمان، وخليفة بن سعد، صاحب أبي الدرداء.

واشتهر من الطبقة التي تلتهم الأئمة السبعة الذين تُنسب إليهم القراءات إلى اليوم، فكان منهم "بالمدينة": أبو جعفر يزيد بن القعقاع، ثم نافع بن عبد الرحمن، و"بمكة": عبد الله بن كثير، وحميد بن قيس الأعرج، و"بالكوفة": عاصم بن أبي النجود، وسليمان الأعمش، ثم حمزة، ثم الكسائي، و"بالبصرة": عبد الله بن أبي إسحاق، وعيسى بن عمرو، وأبو عمرو بن العلاء، وعاصم الجحدري، ثم يعقوب الحضرمي، و"بالشام": عبد الله بن عامر، وإسماعيل بن عبد الله بن المهاجر، ثم يحيى بن الحارث، ثم شريح بن يزيد الحضرمي.

والأئمة السبعة الذين اشتهروا من هؤلاء في الآفاق هم: أبو عمرو، ونافع، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وابن عامر، وابن كثير.

واختلافات القراءات: منشؤها اختلاف في اللهجات وكيفية النطق وطرق الأداء من تفخيم، وترقيق، وإمالة، وإدغام، وإظهار، وإشباع، ومد، وقصر، وتشديد، وتخفيف... إلخ.

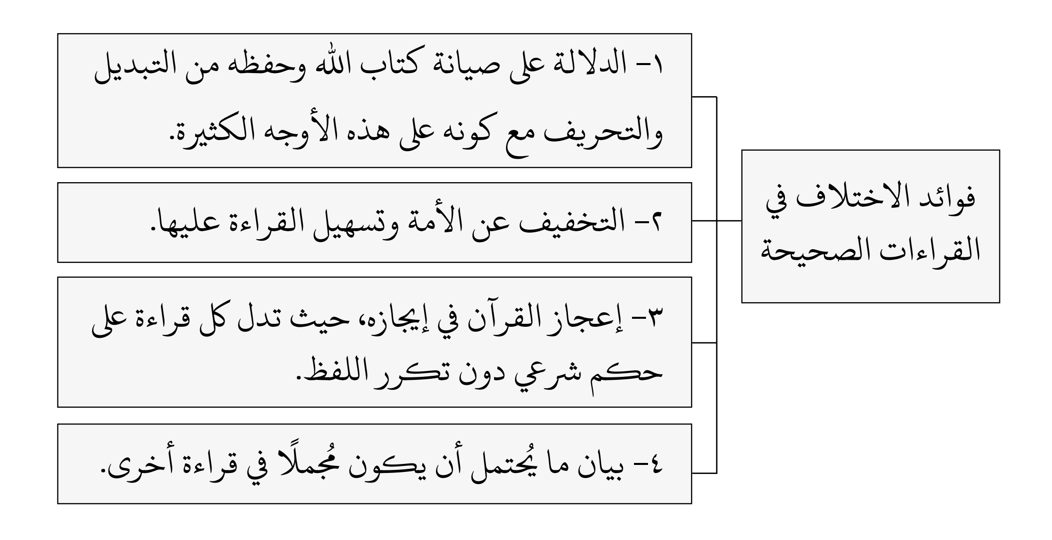
أنواع القراءات وحكمها وضوابطها:



أنواع القراءات ستة

- الأول- المتواتر: وهو مانقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه.
- الثاني- المشهور: وهو ما صح سنده ولم يبلغ درجة المتواتر، ووافق العربية والرسم.
- الثالث- الآحاد: وهو ما صح سنده، وخالف الرسم، أو العربية، أو لم يشتهر الاشتهار المذكور.
- الرابع- الشاذ: وهو ما لم يصح سنده.
- الخامس- الموضوع: وهو ما لا أصل له.
- السادس- المدرج: وهو ما زيد في القراءات على وجه التفسير.

والأنواع الأربعة الأخيرة لا يُقرأ بها.



القرّاء السبعة المشهورون	١- أبو عمرو بن العلاء شيخ الرواة: وتوفي بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة «١٥٤هـ» وراوياه: الدوري، والسوسي.
	٢- ابن كثير: هو عبد الله بن كثير المكي، وهو من التابعين، وتوفي بمكة سنة عشرين ومائة «١٢٠هـ» وراوياه: البزي، وقنبل.
	٣- نافع المدني: هو أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي، أصله من أصفهان، وتوفي بالمدينة سنة تسع وستين ومائة «١٦٩هـ» وراوياه: قالون، وورش.
	٤- ابن عامر الشامي: هو عبد الله بن عامر اليحصبي قاضي دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك. ويكنى أبا عمران، وهو من التابعين، وتوفي بدمشق سنة ثمان عشرة ومائة «١١٨هـ» وراوياه: هشام، وابن ذكوان.
	٥- عاصم الكوفي: هو عاصم بن أبي النجود، ويقال له ابن بهدلة، أبو بكر، وهو من التابعين، وتوفي بالكوفة سنة ثمان وعشرين ومائة «١٢٨هـ» وراوياه: شعبة، وحفص.
	٦- حمزة الكوفي: هو حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات الفرضي التيمي، ويكنى أبا عمارة وتوفي بحلوان في خلافة أبي جعفر المنصور سنة ست وخمسين ومائة «١٥٦هـ» وراوياه: خلف، وخلاد.
	٧- الكسائي الكوفي: هو علي بن حمزة إمام النحاة الكوفيين، ويكنى أبا الحسن، توفي بـ «رنبوية» سنة «١٨٩هـ» وراوياه: أبو الحارث، وحفص الدوري.

القراء الثلاثة المكملة العشرة	٨- أبو جعفر المدني: هو يزيد بن القعقاع، وتوفي بالمدينة سنة ثمان وعشرين ومائة «١٢٨هـ» - وقيل: «١٣٢هـ», وراوياه: ابن وردان: وابن جماز.
	٩- يعقوب البصري: هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي، وتوفي بالبصرة سنة خمس ومائتين «٢٠٥هـ» - وقيل «١٨٥هـ» - وراوياه: رويس، وروح.
	١٠- خلف: هو أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب البزار البغدادي وتوفي سنة تسع وعشرين ومائتين «٢٢٩هـ» وراوياه: إسحاق، وإدريس.

يزيد بعض العلماء أربع قراءات على هذه العشر، وهن	١- قراءة الحسن البصري، مولى الأنصار، أحد كبار التابعين المشهورين بالزهد، توفي سنة ١١٠ هجرية.
	٢- قراءة محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن محيصن، توفي سنة ١٢٣ هجرية، وكان شيخًا لأبي عمرو.
	٣- قراءة يحيى بن المبارك اليزيدي النحوي، من بغداد، أخذ عن أبي عمرو وحمزة، وكان شيخًا للدوري والسوسي. توفي سنة ٢٠٢ هجرية.
	٤- قراءة أبي الفرج محمد بن أحمد الشنبوذي، توفي سنة ٣٨٨ هجرية.

الوقف والابتداء:

فوائد معرفة الوقف والابتداء للحفاظ على سلامة معاني الآيات، وبُعدًا عن اللَّبس والوقوع في الخطأ.

أقسام الوقف

١- التام: هو الذي لا يتعلق بشيء مما بعده، وأكثر ما يوجد عند رءوس الآي، كقوله تعالى: {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (البقرة: ٥)}، ثم يبتدئ: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا (البقرة: ٦)}.

٢- الكافي الجائز: هو الذي يكون اللفظ فيه منقطعًا، ويكون المعنى متصلًا. ومن أمثلته: كل رأس آية بعدها لام كي، كقوله تعالى: {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ، لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ (يس: ٦٩-٧٠)} .

٣- الحسن: هو الذي يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده لتعلقه به في اللفظ والمعنى كقوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (الفاتحة: ٢-٣)}.

٤- القبيح: هو الذي لا يفهم منه المراد، كالوقوف على قوله تعالى {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا} والابتداء بقوله: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ (المائدة: ١٧)}.

التجويد وآداب التلاوة:

للتلاوة الجيدة أثرها لدى القارئ والمستمع في فهم معاني القرآن وإدراك أسرار إعجازه، في خشوع وضراعة. وقد عدَّ العلماء القراءة بغير تجويد لحنًا، واللحن: خلل يطرأ على الألفاظ، ومنه الجلي والخفي.

أنواع اللحن:

اللحن

١. الجلي: هو الذي يخل باللفظ إخلالًا ظاهرًا يشترك في معرفته علماء القراءة وغيرهم، وذلك كالخطأ الإعرابي أو الصرفي.

٢. الخفي: هو الذي يخل باللفظ إخلالًا يختص بمعرفته علماء القراءة وأئمة الأداء الذين تلقوه من أفواه العلماء وضبطوه من ألفاظ الأداء.

آداب التلاوة:

آداب القارئ عند قراءة القرآن	١- أن يكون على وضوء.
	٢- أن يكون في مكان نظيف طاهر، مراعاة لجلال القراءة.
	٣- أن يقرأ بخشوع وسكينة ووقار.
	٤- أن يستاك قبل البدء في القراءة.
	٥- أن يتعوَّذ في بدايتها، لقوله تعالى: {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (النحل: ٩٨)}.
	٦- أن يحافظ على البسملة في مطلع كل سورة سوى «براءة» لأنها آية على الرأي الراجح.
	٧- أن تكون قراءته ترتيلًا، يعطي الحروف حقها من المد والإدغام، قال تعالى: {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (المزمل: ٤)}.
	٨- أن يتدبر ما يقرأ، لأن هذا هو المقصود الأعظم، والمطلوب الأهم.
	٩- أن يتأثر بآيات القرآن وعدًا ووعيدًا، فيحزن ويبكي لآيات الوعيد فزعًا ورهبة وهولًا.
	١٠- أن يُحسِّن صوته بالقراءة، فإن القرآن زينة للصوت، والصوت الحسن أوقع في النفس.
	١١- أن يجهر بالقراءة حيث يكون الجهر أفضل.

المبحث الحادي عشر

المحكم والمتشابه

تأتي أهمية دراسة محكم القرآن ومتشابهه تبعاً لأهمية القرآن ذاته، حيث إن القرآن الكريم هو الرسالة الخالدة والخاتمة للبشرية، الموجّه للإنسانية من خالقها، وهو الهدى والنور والفرقان، وفيه الأحكام والمعارف المتنوّعة المتصلة بالإنسان في إيمانه وحركته في الحياة، فلا يُراد للقرآن وآياته أن تُحبس وتُقيّد بزمان أو بأمم معيّنة، وإلا لماتت الآيات وانتهى مفعولها، فهو الكتاب المحكم المتشابه، لا تفنى عجائبه، ولا تنقضي غرائبه.

المحكم العام والمتشابه العام:

المُحكم لغة: مأخوذ من حكمت الدابة وأحكمت: بمعنى منعت، والحكم: هو الفصل بين الشيئين، فالحاكم يمنع الظالم ويفصل بين الخصمين، ويميز بين الحق والباطل. وإحكام الشيء: إتقانه، والمحكم: المتقن. فإحكام الكلام: إتقانه بتمييز الصدق من الكذب في أخباره. وقد وصف الله القرآن كله بأنه مُحكم على هذا المعنى فقال: {الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (هود: ١-٢)}.

والمتشابه لغة: مأخوذ من التشابه: وهو أن يشبه أحد الشيئين الآخر. وتشابه الكلام: هو تماثله وتناسبه بحيث يُصدِّق بعضه بعضًا، وقد وصف الله القرآن كله بأنه متشابه على هذا المعنى فقال: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِي (الزمر: ٢٣)}.

المحكم الخاص والمتشابه الخاص:

هناك محكم خاص ومتشابه خاص ذكرهما الله في قوله: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا (آل عمران: ٧)} .

اختلف العلماء في معناهما على أقوال أهمها

أ- المحكم: ما عُرِف المراد منه. والمتشابه: ما استأثر الله بعلمه.

ب- المحكم: ما لا يحتمل إلا وجهًا واحدًا. والمتشابه: ما احتمل أوجهًا.

ج- المحكم: ما استقل بنفسه ولم يحتج إلى بيان. والمتشابه: ما لا يستقل بنفسه واحتاج إلى بيان برده إلى غيره.

الاختلاف في معرفة المتشابه:

١. ذهب أُبَيٌّ بن كعب وابن مسعود وابن عباس وغيرهم إلى أن {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} هو مبتدأ خبره {يقولون} والواو للاستئناف.
٢. وذهب مجاهد إلى أن {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} معطوف.

التوفيق بين الرأيين:

يمكن التوفيق بين الرأيين بالرجوع إلى معنى التأويل، فإن لفظ التأويل ورد لثلاثة معان، وهي:

الأول	صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به.
الثاني	التأويل بمعنى التفسير، فهو الكلام الذي يفسَّر به اللفظ حتى يُفهم معناه.
الثالث	التأويل: هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فتأويل ما أخبر الله به عن اليوم الآخر هو نفسه ما يكون في اليوم الآخر.

فالذين يقولون بالوقف على قوله: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ}، ويجعلون: {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ}، استئنافًا، إنما عنوا بذلك التأويل بالمعنى الثالث، أي الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فحقيقة ذات الله وكنهها وكيفية أسمائه وصفاته وحقيقة المعاد لا يعلمها إلا الله.

والذين يقولون بالوقف على قوله: {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} على أن الواو للعطف وليست للاستئناف، إنما عنوا بذلك التأويل بالمعنى الثاني أي التفسير وبهذا يتضح أنه لا منافاة بين المذهبين في النهاية، وإنما الأمر يرجع إلى الاختلاف في معنى التأويل.

منشأ التشابه

اللفظ

المعنى
كوصف الجنة والنار وأهوال يوم القيامة وغير ذلك

اللفظ والمعنى
كقوله تعالى : { وَليسَ البِـرُّ بِـأن تَأتُوا البُيُوتَ من ظهورها (البقرا: ١٨٩) }

مفرد

مركب

غريب
وهو اللفظ المفرد ومعناه غريب وينذر استعماله مثاله فى قوله تعالى : { وَفاكِهَةً وَأَبًّا (عبس: ٣١)}

مشترك لفظى
وهو اللفظ المفرد ومعناه مشترك بين عدة معان مثل قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام : { فَرَاغَ عَلَيهِمْ ضرباً بِاليَمِينِ (الصفات: ٩٣) } هل مقصود باليمين الجارحة أو القوة الشديدة أو القصم الذى نوه عنه بقوله : { وَتَاللهِ لأكِيدَنَّ أصنَامكم بَعدَ أَن تُوَلوا مُدبِرِينَ (الأنبياء: ٥٧)}

موجز
وهو اللفظ المركب وكان خفاء المعنى فيه بسبب إيجازه واختصاره كقوله تعالى : {وَإن خِفتُم ألاَّ نُقسِطُوا فِى اليَتَامَى فَانكِحُوا مَا طابَ لكُم مِنَ النسَاءِ مَثنَى وثلاثَ ورُبَاع (النساء: ٣) } والأصل وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى لو تزوجتموهن فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم من النساء ومعناه : إنكم إذا تحرجتم من زواج اليتامى مخافة أن تظلموهن فأمامكم غيرهن فتزوجوا منهن ماطاب لكم

مطنَب
التشابه فى اللفظ المركب بسبب إطنابه وبسطه كقوله تعالى : { لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ (الشورى: ١١)} فإن حرف الكاف لو حذفت وقيل ليس مثل مثله شيء كان أوضح للسامع لأن تركيب الآية ينحل إلى ليس مثل مثله شيء ولكن بلاغة القرآن اقتضت أن تنفي عن المثل بوجه أبلغ

منظم
التشابه فى اللفظ المركب بسبب ترتيبه و نظمه كقوله : { الحَمْدُ لِلهِ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَم يَجعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا (الكهف: ١) }

المبحث الثاني عشر

العام والخاص

من الملاحظ أن بعض ألفاظ الآيات القرآنية ــ لنكتة في أسلوب العرض والبيان، أو بمقتضى مصلحة التدرج في الأحكام، أو لحكمة الإرجاع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، أو غير ذلك من المصالح البيانية أو التربوية أو السياسية ــ جاءت عامة تشمل كل الأفراد، وبعضها جاءت في بداياتها على نحو العموم ثم أتى تخصيص بعضها بعد مدّة، ومنها ما بقي على عمومه، ولذلك كله مقاصد يهدف إليها.

تعريف العام وصيغ العموم:

العام: هواللفظ المستغرق لما يصلح له من غير حصر.

ذهب أكثر العلماء إلى أن هناك صيغًا وُضِعت في اللغة للدلالة حقيقة على العموم، وتُستعمل مجازًا فيما عداه، واستدلوا على ذلك بأدلة نصية، وإجماعية ومعنوية	أ- الدليل النصي قوله تعالى: {وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ, قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ (هود: ٥٤-٦٤)}، ووجه الدلالة أن نوحًا عليه السلام توجه بهذا النداء تمسكًا منه بقوله تعالى: {قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ (هود: ٤٠)}، وأقرَّه الله تعالى على هذا النداء، وأجابه بما دل على أنه ليس من أهله، ولولا أن إضافة الأهل إلى نوح للعموم لما صح ذلك.
	ب- إجماع الصحابة على إجراء قوله تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا (المائدة: ٣٨)}، ونحو ذلك على العموم في كل سارق.
	ج- دليل معنوي، أن العموم يُفهم من استعمال ألفاظه، ولو لم تكن هذه الألفاظ موضوعة له لما تبادر إلى الذهن فهمه منها، كألفاظ الشرط والاستفهام والموصول. وإننا ندرك الفرق بين «كل» و«بعض» ولو كان «كل» غير مفيد للعموم لما تحقق الفرق.

<table dir="rtl">
<tr><td rowspan="6">صيغ العموم التي تدل عليه</td><td>١. «كل»</td><td>كقوله تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ (آل عمران: ١٣٨)} ومثلها «جميع».</td></tr>
<tr><td>٢. المعرف بـ «ال» التي ليست للعهد</td><td>كقوله: {وَالْعَصْرِ، إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (العصر: ١-٢)}.</td></tr>
<tr><td colspan="2">٣. النكرة في سياق النفي والنهي كقوله: {فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ (البقرة: ١٩٧)} أو في سياق الشرط كقوله: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ (التوبة: ٦)}.</td></tr>
<tr><td>٤. «الذي» و«التي» وفروعهما</td><td>كقوله: {وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا (الأحقاف: ١٧)}.</td></tr>
<tr><td>٥. أسماء الشرط نحو من وما وحيث ما وأي ما</td><td>كقوله تعالى:{وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ (البقرة: ١٩٧)}</td></tr>
<tr><td>٦. اسم الجنس المضاف إلى معرفة</td><td>كقوله: {يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلادِكُمْ (النساء ١١)}.</td></tr>
</table>

أقسام العام

الأول: الباقي على عمومه كقوله: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ (النساء: ٢٣)}. فإنه لا خصوص فيها.

الثاني: العام المراد به الخصوص - كقوله تعالى: {فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ (آل عمران: ٣٩)}، والمنادى جبرائيل كما في قراءة ابن مسعود.

الثالث: العام المخصوص - وأمثلته في القرآن كثيرة منها قوله: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا (آل عمران: ٩٧)}.

أنواع المخصص

١. المتصل: وهو الذي لم يُفصل فيه بين العام والمخصص له بفاصل. وهو خمسة أنواع:

أحدها: الاستثناء، كقوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ، إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا (النور: ٤-٥)}.

الثاني: الصفة، كقوله تعالى: {وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ (النساء: ٢٣)}.

الثالث: الشرط، كقوله: {وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا (النور: ٣٣)}.

الرابع: الغاية، كقوله: {وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ (البقرة: ١٩٦)}.

الخامس: بدل البعض من الكل، كقوله تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا (آل عمران: ١٩٧)}.

٢. المنفصل: ما كان في موضع آخر من آية أو حديث أو إجماع أو قياس.

الأول: ما خُصَّ بالقرآن، كقوله تعالى: {وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ (البقرة: ٢٢٨)}، خُصَّ بقوله: {وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ (الطلاق: ٤)}.

الثاني: ما خُصَّ بالحديث، كقوله تعالى: {وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا (البقرة: ٢٧٥)}، خص بحديث ابن عمر -رضي الله عنه- قال: «نهى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن عسب الفحل».

الثالث: ما خُص بالإجماع، كآية المواريث: {يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ (النساء: ١١)}، خص منها بالإجماع الرقيق لأن الرق مانع من الإرث.

الرابع: ما خُص بالقياس، كآية الزنا: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ (النور: ٢)}، خُص منها العبد بالقياس على الأمة التي نص على تخصيصها عموم الآية في قوله تعالى: {فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ (النساء: ٢٥)}.

الفرق بين العام المراد به الخصوص والعام المخصوص	١- أن العام المراد به الخصوص لا يراد شموله لجميع الأفراد من أول الأمر، لا من جهة تناول اللفظ، ولا من جهة الحكم، بل هو ذو أفراد استعمل في فرد واحد منها أو أكثر.	أما العام المخصوص فأريد عمومه وشموله لجميع الأفراد من جهة تناول اللفظ لا من جهة الحكم.
	٢- العام المراد به الخصوص مجاز قطعًا، لنقل اللفظ عن موضوعه الأصلي واستعماله في بعض أفراده.	الأصح في العام المخصوص أنه حقيقة.
	٣- قرينة العام المراد به الخصوص عقلية غالبًا ولا تنفك عنه.	قرينة العام المخصوص لفظية وقد تنفك.

تعريف الخاص وبيان المخصص:

والخاص: يقابل العام، فهو الذي لا يستغرق الصالح له من غير حصر. والتخصيص: هو إخراج بعض ما تناوله اللفظ العام.

تخصيص السّنَّة بالقرآن:

وقد يخصص القرآن السّنَّة، ويمثلون لذلك بما رُوي عن أبي واقد الليثي –رضي الله عنه– قال: قال النبي–صلى الله عليه وسلم-: "ما قُطِع من البهيمة وهي حية فهو ميت". فهذا الحديث خُص بقوله تعالى: {وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ (النحل: ٨٠)}.

أدلة الاحتجاج بالعام بعد تخصيصه فيما بقي عند المحققين	أ- دليل الإجماع: أن فاطمة -رضي الله عنها- احتجت على أبي بكر -رضي الله عنه- في ميراثها من أبيها بعموم قوله تعالى: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ (النساء: ١١)}، مع أنه مخصص بالكافر والقاتل.
	ب- دليل العقل: أن العام قبل التخصيص حجة في كل واحد من أقسامه إجماعا، والأصل بقاء ما كان قبل التخصيص بعده.

ما يشمله الخطاب:

اختُلِف في الخطاب الخاص بالرسول -صلى الله عليه وسلم- كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ (الأحزاب: ١)}. هل يشمل الأمة أم لا يشملها؟

أ- ذهب قوم إلى أنه يشملها باعتباره قدوة لها.

ب- ذهب آخرون إلى أنه لا يشملها؛ لأن الصيغة تدل على اختصاصه بها.

واختلف أيضًا في الخطاب من الله تعالى بـ "يَا أَيُّهَا النَّاسُ". هل يشمل الرسول أم لا؟

١. الصحيح في ذلك أنه يشمله لعمومه وإن كان الخطاب قد ورد على لسانه ليُبلِّغ غيره.

٢. ذهب بعضهم إلى التفصيل، فقال: إن اقترن الخطاب بـ "قل" لم يشمله لأن ظاهره البلاغ كقوله: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا (الأعراف: ١٥٨)}، وإلا شمله.

وما ورد في الخطاب مضافًا إلى الناس كقوله: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا (الحجرات: ١٣)}، أنه يشمل الكافر والمؤمن والعبد والأنثى.

وما ورد في الخطاب مضافًا إلى المؤمنين كقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ (المائدة: ٩٠)}. أنه يشمل المؤمنين والمؤمنات فقط لمراعاة التكليف بالنسبة إلى الجميع.

ومتى اجتمع المذكر والمؤنث غلب التذكير. وأكثر خطاب الله تعالى في القرآن بلفظ التذكير، والنساء يدخلن في جملته. وقد يأتي ذكرهن بلفظ مفرد تبيينًا وإيضاحًا. وهذا لا يمنع دخولهن في اللفظ العام الصالح لهن، كما جاء في قوله تعالى: {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى (النساء: ١٢٤)}.

المبحث الثالث عشر

الناسخ والمنسوخ

لا شك أن بعض مصالح الدعوة الإسلامية ومطالب كل أمة في بداية أمرها، تختلف عنها بعد تكوينها واستقرارها، فاقتضى ذلك الحال تغيُّر بعض الأحكام؛ مراعاة لتلك المصالح، فالله سبحانه وتعالى يسع كل شيء رحمة وعلما، فلا غرابة في نسخ تشريع بآخر مراعاة لمصلحة العباد عن علم بالأول والآخر. وهذا واضح في بعض أحكام المرحلة المكية والمرحلة المدنية، وكذلك عند بداية العهد المدني وعند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم.

تعريف النسخ وشروطه:

تعريف النسخ

النسخ لغة: الإزالة، و نقل الشيء من موضع إلى موضع. وفي القرآن: {إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (الجاشية: ٢٩)}.

النسخ في الاصطلاح: رفع الحكم الشرعي بخطاب شرعي، ويطلق الناسخ على الله تعالى كقوله: {مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ (البقرة: ١٠٦)}، وعلى الآية وما يُعرف به النسخ، فيقال: هذه الآية ناسخة لآية كذا، وعلى الحكم الناسخ لحكم آخر. والمنسوخ هو الحكم المرتفع.

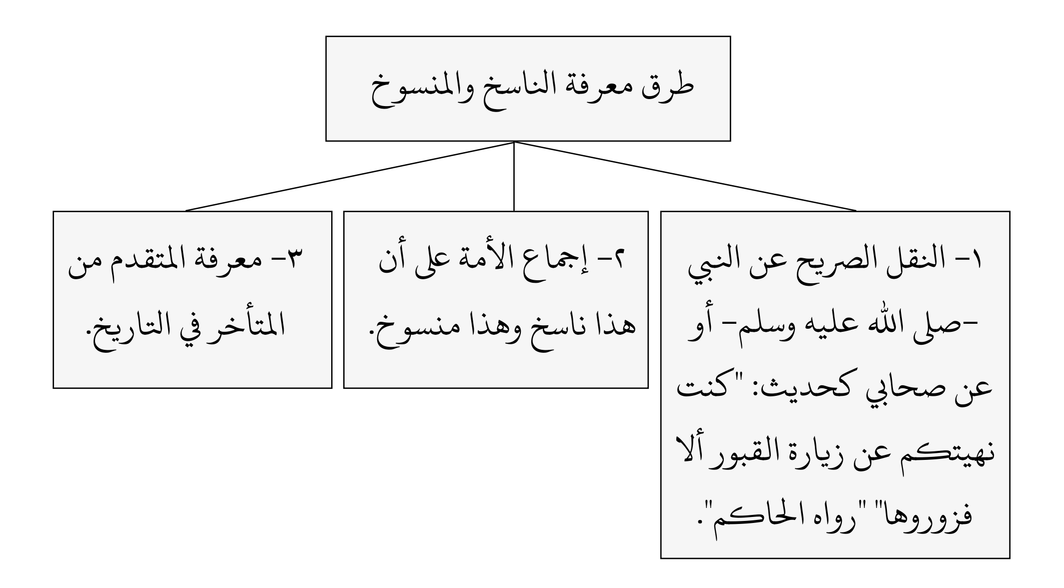
شروط النسخ	١- أن يكون الحكم المنسوخ شرعيًّا.
	٢- أن يكون الدليل على ارتفاع الحكم خطابًا شرعيًّا متراخيًا عن الخطاب المنسوخ حكمه.
	٣- ألا يكون الخطاب المرفوع حكمه مقيدًا بوقت معين. وإلا فالحكم ينتهي بانتهاء وقته.

ما يقع فيه النسخ:

النسخ لا يكون إلا في الأوامر والنواهي -سواء أكانت صريحة في الطلب أو كانت بلفظ الخبر الذي بمعنى الأمر أو النهي- على أن يكون ذلك غير متعلق بالاعتقادات التي ترجع إلى ذات الله تعالى وصفاته وكتبه ورسله واليوم الآخر، أو الآداب الخُلُقية، أو أصول العبادات والمعاملات لأن الشرائع كلها لا تخلو عن هذه الأصول. كما لا يدخل النسخ الخبر الصريح الذي ليس بمعنى الطلب كالوعد والوعيد.

أهمية معرفة النسخ:

ولمعرفة الناسخ والمنسوخ أهمية كبيرة عند أهل العلم من الفقهاء والأصوليين والمفسرين حتى لا تختلط الأحكام، ولذلك وردت آثار كثيرة في الحث على معرفته، فقد رُوِي أن عليًّا -رضي الله عنه- مرَّ على قاض فقال له: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا، فقال: هلكت وأهلكت. وأخرج ابن جرير الطبري وابن أبي حاتم عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى: {وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً (البقرة: ٢٦٩)}، قال: "ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره، وحرامه وحلاله".


طرق معرفة الناسخ والمنسوخ
١- النقل الصريح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أو عن صحابي كحديث: "كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها" "رواه الحاكم".
٢- إجماع الأمة على أن هذا ناسخ وهذا منسوخ.
٣- معرفة المتقدم من المتأخر في التاريخ.

الآراء في النسخ وأدلة ثبوته:

النسخ بين مثبتيه ومنكريه

١- اليهود: وهؤلاء ينكرونه لأنه يستلزم في زعمهم البَدَاء، وهو الظهور بعد الخفاء، وهم يعنون بذلك: أن النسخ إما أن يكون لغير حكمة، وهذا عبث محال على الله، وإما أن يكون لحكمة ظهرت ولم تكن ظاهرة من قبل، وهذا يستلزم البَدَاء وسبق الجهل، وهو محال على الله تعالى.

٢- الروافض: وهؤلاء غلوا في إثبات النسخ وتوسعوا فيه، وأجازوا البَدَاء على الله تعالى، واستدلوا على ذلك بأقوال نسبوها إلى علي -رضي الله عنه- زورًا وبهتانًا، وبقوله تعالى: {يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ (الرعد: ٣٩)}، على معنى أنه يظهر له المحو والإثبات.

٣- أبو مسلم الأصفهاني: وهو يجوّز النسخ عقلًا ويمنع وقوعه شرعًا، وقيل يمنعه في القرآن خاصة محتجًّا بقوله تعالى: {لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (فصلت: ٤٢)}، على معنى أن أحكامه لا تبطل أبدًا. ويحمل آيات النسخ على التخصيص.

٤- جمهور العلماء: هم يتفقون على جواز النسخ عقلًا ووقوعه شرعًا لأدلة:

أ- لأن أفعال الله لا تُعلَّل بالأغراض، فله أن يأمر بالشيء في وقت وينسخه بالنهي عنه في وقت، وهو أعلم بمصالح العباد.

ب- لأن نصوص الكتاب والسّنَّة دالة على جواز النسخ ووقوعه كقوله تعالى: {وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ (النحل: ١٠١)}، وما رواه الشيخان عن ابن عباس -رضي الله عنه- قال: قال عمر -رضي الله عنه-: أقرؤنا أُبَيٌّ، وأقضانا، وإنا لندع من قول أُبَيٍّ، وذاك أن أُبَيًّا يقول: لا أدع شيئًا سمعته من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقد قال الله عز وجل: {مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا (البقرة: ١٠٦)} .

<table>
<tr><td rowspan="6">أقسام النسخ</td><td colspan="2">القسم الأول: نسخ القرآن بالقرآن: وهذا القسم متفق على جوازه ووقوعه من القائلين بالنسخ، فآية الاعتداد بالحول مثلًا نُسِخَت بآية الاعتداد بأربعة أشهر وعشرٍ.</td></tr>
<tr><td colspan="2">القسم الثاني: نسخ القرآن بالسُّنَّة: وتحت هذا نوعان:</td></tr>
<tr><td>أ- نسخ القرآن بالسُّنَّة الآحادية. والجمهور على عدم جوازه. لأن القرآن متواتر يفيد اليقين، والآحادي مظنون، ولا يصح رفع المعلوم بالمظنون.</td><td>ب- نسخ القرآن بالسُّنَّة المتواترة. وقد أجازه مالك وأبو حنيفة وأحمد في رواية، لأن الكل وحي. قال تعالى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (النجم: ٣-٤)}.</td></tr>
<tr><td colspan="2">القسم الثالث: نسخ السُّنَّة بالقرآن، ويجيزه الجمهور، فالتوجه إلى بيت المقدس كان ثابتًا بالسُّنَّة، وليس في القرآن ما يدل عليه، وقد نُسِخَ بالقرآن في قوله: {فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ (البقرة: ١٤٤)}.</td></tr>
<tr><td colspan="2">القسم الرابع: نسخ السُّنَّة بالسُّنَّة، وتحت هذا أربعة أنواع:</td></tr>
<tr><td>١- نسخ متواترة بمتواترة
٢- نسخ آحاد بآحاد
٣- نسخ آحاد بمتواترة
٤- نسخ متواترة بآحاد</td><td>- والثلاثة الأولى جائزة - أما النوع الرابع ففيه الخلاف الوارد في نسخ القرآن بالسُّنَّة الآحادية، والجمهور على عدم جوازه.</td></tr>
</table>

أما نسخ كل من الإجماع والقياس والنسخ بهما فالصحيح عدم جوازه.

أنواع النسخ في القرآن:

أنواع النسخ في القرآن	
	النوع الأول: نسخ التلاوة والحكم معًا، ومثاله: ما رواه مسلم وغيره عن عائشة قالت: «كان فيما أُنزل: عشر رضعات معلومات يُحرِّمن، فنسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهن مما يُقرأ من القرآن»، وقولها: «وهن مما يُقرأ من القرآن» ظاهره بقاء التلاوة، وليس كذلك، فإنه غير موجود في المصحف العثماني. وأجيب بأن المراد: قارَبَ الوفاة.
	النوع الثاني: نسخ الحكم وبقاء التلاوة، ومثاله: نسخ حكم آية العِدَّة بالحول مع بقاء تلاوتها. والتحقيق أنها قليلة. والحكمة في ذلك لبقاء الثواب على تلاوتها والتذكير بالنعمة في رفع المشقة.
	النوع الثالث: نسخ التلاوة مع بقاء الحكم، وقد ذكروا له أمثلة كثيرة، منها آية الرجم: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالًا من الله، والله عزيز حكيم».

- وقد يقال: إن الآية والحكم المستفاد منها متلازمان؛ لأن الآية دليل على الحكم. فإذا نُسِخَت الآية نُسِخ حكمها. وإلا وقع الناس في لَبْس.

ويُجاب عن ذلك بأن هذا التلازم يسلم لو لم ينصب الشارع دليلًا على نسخ التلاوة، وعلى إبقاء الحكم، أما وقد نصب الدليل على نسخ التلاوة وحدها، وعلى إبقاء الحكم واستمراره فإن التلازم يكون باطلًا، وينتفي اللَّبْس بهذا الدليل الشرعي الذي يدل على نسخ التلاوة مع بقاء الحكم.

حكمة النسخ	١- مراعاة مصالح العباد.
	٢- تطور التشريع إلى مرتبة الكمال حسب تطور الدعوة وتطور حال الناس.
	٣- ابتلاء المكلَّف واختباره بالامتثال وعدمه.
	٤- إرادة الخير للأمة والتيسير عليها؛ لأن النسخ إن كان إلى أشقَّ ففيه زيادة الثواب، وإن كان إلى أخف ففيه سهولة ويُسر

النسخ ببدل وبغير بدل:

الحكم الشرعي الذي ينسخه الله تعالى، إما أن يُحِلّ محله حكما آخر أو لا، فإذا لم يحل محله حكما آخر فذلك هو النسخ بغير بدل، وإذا أحله حكما آخر فذلك هو النسخ ببدل. والنسخ ببدل إما إلى بدل أخف، وإما إلى بدل مماثل، وإما إلى بدل أثقل.

النسخ

غير بدل

بدل

١- النسخ إلى غير بدل: كنسخ الصدقة بين يدي نجوى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً}، نُسِخَت بقوله: {أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ (المجادلة: ١٢-١٣)}.

٢- النسخ إلى بدل أخف: مثل قوله تعالى: {أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ (البقرة: ١٨٧)} الآية. فهي ناسخة لقوله: {كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ (البقرة: ١٨٣)}؛ لأن مقتضاها الموافقة لما كان عليه السابقون من تحريم الأكل والشرب والوطء إذا صلُّوا العتمة أو ناموا إلى الليلة التالية.

٣- النسخ إلى بدل مماثل: كنسخ التوجه إلى بيت المقدس بالتوجه إلى الكعبة في قوله: {فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ (البقرة: ١٤٤)}.

٤- النسخ إلى بدل أثقل: كنسخ الحبس في البيوت في قوله: {وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ (النساء: ١٥)} الآية، بالجلد في قوله: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي (النور: ٢)} الآية.

شُبَهُ النسخ:

وللناسخ والمنسوخ أمثلة كثيرة، إلا أن العلماء اختلفوا في هذا:

١- منهم المكثر الذي اشتبه عليه الأمر فأدخل في النسخ ما ليس منه.

٢- منهم المتحري الذي يعتمد على النقل الصحيح في النسخ.

منشأ الاشتباه عند المكثرين:

منشأ الاشتباه عند المكثرين أُمور أهمها

١- اعتبار التخصيص نسخًا.

٢- اعتبار البيان نسخًا.

٣- اعتبار ما شُرِعَ لسبب ثم زال السبب من المنسوخ.

٤- اعتبار ما أبطله الإسلام من أمر الجاهلية أو من شرائع الأمم السابقة نسخًا: كمشروعية القِصاص والدِّيَة، وقد كان عند بني إسرائيل القِصاص فقط ، ومثل هذا ليس نسخًا، وإنما هو رفع للبراءة الأصلية.

أمثلة للنسخ:

قد ذكر الإمام السيوطي في الإتقان إحدى وعشرين آية اعتبرها من قبيل النسخ نذكر منها ما يلي والتعليق عليه.

١. قوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ (البقرة: ١١٥)}، منسوخة بقوله: {فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ (البقرة: ١٤٤)}، وقد قيل -وهو الحق- إن الأُولى غير منسوخة؛ لأنها في صلاة التطوع في السفر على الراحلة وكذا في حال الخوف والاضطرار، وحكمها باق، كما في الصحيحين، والثانية في الصلوات الخمس، والصحيح أنها ناسخة لما ثبت في السُّنَّة من استقبال بيت المقدس.

٢. قوله: {وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ (البقرة: ١٨٤)}، نُسِخت بقوله: {فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ (البقرة: ١٨٥)}، لما في الصحيحين من حديث سلمة بن الأكوع أنه قال: لما نزلت {وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ} كان من أراد أن يُفطر يفتدي، حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها. وذهب ابن عباس إلى أنها مُحكمة غير منسوخة: روى البخاري عن عطاء أنه سمع ابن عباس -رضي الله عنهما- يقرأ: {وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ (البقرة: ١٨٤)} قال ابن عباس: "ليست بمنسوخة. هي للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيُطعمان كل يوم مسكينًا" - وليس معنى "يطيقونه" على هذا: يستطيعونه، وإنما معناه يتحملونه بمشقة وكلفة.

٣. قوله: {يَسْأَلونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ (البقرة: ٢١٧)}، نُسِخت بقوله: {وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً (التوبة: ٣٦)}، وقيل: يُحمل عموم الأمر بالقتال على غير الأشهُر الحُرُم فلا نسخ.

٤. قوله: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ (البقرة: ٢٤٠)}، نُسِخت بقوله: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً (البقرة: ٢٣٤)}.

وقيل إن الآية الأولى مُحكمة؛ لأنها في مقام الوصية للزوجة إذا لم تخرج ولم تتزوج، أما الثانية فهي لبيان العدَّة، ولا تنافي بينهما.

المبحث الرابع عشر

المطلق و المقيد

إن القرآن الكريم قد ترد فيه نصوص مطلَقَة بأوامر ونواهٍ مختلفة غير مقيّدَة بصفة معينة، أو حال مخصوصة، أو غاية محدّدة. وقد ترد فيه أيضًا نصوص مقيّدة بقيود معتبرة في تقرير الحكم، لحكمة ينص عليها الشارع حينًا، ويترك التنصيص عليها حينًا؛ ليدرِّبَ العقول على استنباطها بالقرائن الملحوظة من سياق الكلام، أو من العرف اللغوي، أو العرف الشرعي، أو العرف العادي. وفي ذلك رعاية لمصالح العباد في العاجل والآجل بوجه عام.

تعريف المطلق والمقيد:

المطلق: هو ما دل على الحقيقة بلا قيد، فهو يتناول واحدًا لا بعينه من الحقيقة، وأكثر مواضعه النكرة في الإثبات كلفظ "رقبة" في مثل: {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ} فإنه يتناول عتق أي إنسان مملوك.

والمقيَّد: هو ما دل على الحقيقة بقيد. كالرقبة المقيَّدة بالإيمان في قوله: {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ}.

أقسام المطلق والمقيَّد وحكم كل منها

١- أن يتحد السبب والحكم: كالصيام في كفارة اليمين: جاء مطلقًا في القرآت المتواترة بالمصحف {فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم (المائدة: ٨٩)} ومقيدا في قراءة ابن مسعود { فصيام ثلاثة أيام متتابعات}. فيحمل المطلق على المقيد لأن السبب الواحد لا يوجب المتنافيين، لذلك قال أبو حنيفة بالتتابع، وخالفهم من يرى أن القراءة المشهورة ليست حجة، فلا يحمل المطلق على المقيد هنا.

٢- أن يتحد السبب ويختلف الحكم: كالأيدي في الوضوء والتيمم. قيد غسل الأيدي في الوضوء بأنه إلى المرافق، وأطلق المسح في التيمم. فلا يحمل المطلق على المقيد لاختلاف الحكم.

٣- أن يتحد الحكم ويختلف السبب: وله صورتان.

أ- أن يكون التقييد واحدا. كعتق الرقبة في الكفارة، ورد تقييد الرقبة بالرقبة المؤمنة في كفارة القتل الخطأ، قال تعالى {ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة (النساء: ٩٢)}، وأطلقت في كفارة الظهار، قال تعالى {والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا (المجادلة: ٣)}. فقال المالكية وكثير من الشافعية يحمل المطلق على المقيد من غير دليل، فلا تجزئ الرقبة الكافرة على كفارة الظهار، وذهب الأحناف إلى عدم حمل المطلق على المقيد إلا بدليل.

ب-أن يكون التقييد مختلفا. كالكفارة بالصوم، قيد الصوم بالتتابع في كفارة القتل، قال تعالى {فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله (المجادلة: ٣)}، وجاء تقييده بالتفريق في صوم المتمتع بالحج، قال تعالى {فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم (البقرة: ١٨٦)}، ثم جاء الصوم مطلقا دون التقييد بالتتابع أو التفريق في كفارة اليمين، قال تعالى {فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام (المائدة: ٨٩)}. فالمطلق في هذا لا يحمل على المقيد.

٤- أن يختلف السبب ويختلف الحكم: كاليد في الوضوء والسرقة، جاءت مقيدة في الوضوء إلى المرافق ومطلقة في السرقة. قال تعالى {والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما (المائدة: ٣٩)}. فلا يحمل المطلق على المقيد لاختلاف السبب والحكم، ولا تعارض بينهما.

المبحث الخامس عشر

المبيّن والمجمل

من المعلوم أن الأدلة التشريعية المتفق عليها تتنوع قرآنا وسنة وإجماعًا وقياسًا، كما تتنوع طرق دلالة السياق على المراد من حيث الوضوح والخفاء من حيث كونها ألفاظا مجملة لم تتضح دلالاتها أو مبينة تتضح دلالته.

تعريف المبيّن والمجمل:

المبيّن هو ما تتضح دلالته والمجمل هو مالم تتضح دلالته.

أسباب الإجمال

١- الاشتراك مثل قوله تعالى {والليل إذا عسعس (التكوير: ١٧)} فإنه موضوع لأقبل وأدبر.

٢-الحذف مثل قوله تعالى {وترغبون أن تنكحوهن (النساء: ١٢٧)} يحتمل التعدي بـ في و عن.

٣- اختلاف مرجع الضمير مثل قوله تعالى {إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه (فاطر: ١٠)} يحتمل عود ضمير الفاعل في يرفعه إلى ما عاد عليه ضمير إليه وهو الله، ويحتمل عوده إلى العمل والمعنى أن العمل الصالح هو الذي يرفع الكلم الطيب، ويحتمل عوده إلى الكلم الطيب أي أن الكلم الطيب وهو التوحيد يرفع العمل الصالح لأنه لا يصح العمل إلا مع الإيمان.

٤- احتمال العطف والاستئناف مثل قوله تعالى {إِلَّا الله والراسخون في العلم يقولون (آل عمران: ٧)}.

٥ - غرابة اللفظ مثل قوله تعالى {فَلَا تَعْضُلوهنّ (البقرة: ٢٣٢)}.

٦- عدم كثرة الاستعمال الآن مثل قوله تعالى {يُلقُونَ السَّمْع (الشعراء: ٢٢٣)} أي يسمعون.

٧- التقديم والتأخير مثل قوله تعالى {ولَولا كلمةٌ سَبقَتْ من ربّك لكان لزامًا وأجلٌ مسمى (طه: ١٢٩)} أي ولولا كلمة وأجل مسمى لكان لزاما.

٨- قلب المنقول مثل قوله تعالى {وَطُوْرِ سِيْنِيْنَ} أي سيناء. و {عَلَى إِلْ يَاسِيْنِ (الصفات: ١٣٠)} أي على الياس.

٩- التكرير القاطع لوصل الكلام في الظاهر مثل قوله تعالى {لِلَّذِيْنَ اسْتُضْعِفُوْا لمن آمن منهم (الأعراف: ٧٥)}.

أنواع التبيين

الأول: التبيين المتصل، مثل قوله تعالى:{من الفجر} بعد قوله تعالى:{الخيط الأبيض من الخيط الأسود (البقرة: ١٨٧)}.

الثاني: التبيين المنفصل في آية أخرى، مثل قوله تعالى: {أُحِلَّتْ لَكُمْ بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم (المائدة: ١)} . الآية، وقد فسره قوله تعالى{حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الميتة (المائدة: ٢)}. وقوله {مَالِكِ يَوْمِ الدِّيْنِ (الفاتحة: ٤)} بيّنه قوله تعالى: {وَمَا أَدْرَاكَ ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا (الانفطار: ١٧-١٩)} . . الآية.

الثالث: التبيين المنفصل بالسنة مثل قوله تعالى: {وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة (البقرة: ٤٣)} وقوله تعالى: {ولله على الناس حج البيت (آل عمران: ٩٧)} وقد بينت السنة أفعال الصلاة والحج ومقادير نصب الزكوات في أنواعها.

الفرق بين المجمل والمحتمل

١- إن المجمل اللفظ المبهم الذي لا يفهم المراد منه والمحتمل اللفظ الواقع بالوضع الأول على معنيين مفهومين فصاعدا سواء كان حقيقة في كلها أو بعضها.

٢- إن المحتمل يدل على أمور معروفة واللفظ مشترك متردد بينهما والمبهم لا يدل على أمر معروف مع القطع بأن الشارع لم يفوض لأحد بيان المجمل بخلاف المحتمل.

المبحث السادس عشر

المنطوق والمفهوم

تمثل دلالة الألفاظ أهمية كبيرة في الدرس الأصولي والفقهي وكذلك عند اللغويين في فهم معاني القرآن الكريم. وتختلف دلالة الألفاظ على معانيها بحسب المعنى الظاهر المنطوق والمعنى الخفي المفهوم بالدلالة تصريحًا أو بالموافقة، أو تلويحًا أو بالمخالفة، وهذا ما يسمى بالمنطوق والمفهوم.

تعريف المنطوق والمفهوم:

إن دلالة الألفاظ قد يكون مأخذها منطوق الكلام وقد يكون مفهوم الكلام. والمنطوق: هو ما دل عليه اللفظ في محل النطق أي إن دلالته تكون من مادة الحروف التي يُنطق بها. ومنه: النص، والظاهر، والمؤول، والاقتضاء، والإشارة. والمفهوم: هو مادل عليه اللفظ لا في محل النطق وهو قسمان: مفهوم الموافقة ومفهوم المخالفة.

أقسام المنطوق:

أقسام المنطوق

١- النص: هو ما يفيد بنفسه معنى صريحًا لا يحتمل غيره. كقوله تعالى: {فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ (البقرة: ١٩٦)}، فإن وصف عشرة ب «كاملة» قطع احتمال العشرة لما دونها مجازًا.

٢- الظاهر: هو ما يسبق إلى الفهم منه عند الإطلاق معنى مع احتمال غيره احتمالًا مرجوحًا، والظاهر يفيد معنى عند الإطلاق مع احتمال غيره احتمالًا مرجوحًا كقوله: {وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ (البقرة: ٢٢٢)}، فانقطاع الحيض يقال فيه طهر، والوضوء والغسل يقال فيهما طهر، ودلالة الطهر على الثاني أظهر، فهي دلالة راجحة، والأولى مرجوحة.

٣- المؤول: هو ما حُمل لفظه على المعنى المرجوح لدليل يمنع من إرادة المعنى الراجح، كقوله تعالى: {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ (الإسراء: ٢٤)}، فإنه محمول على الخضوع والتواضع وحسن معاملة الوالدين. لاستحالة أن يكون للإنسان أجنحة.

٤- الاقتضاء: هو توقف دلالة اللفظ على إضمار، كقوله تعالى:{حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُم (النساء: ٢٣)}، فإنه يتضمن إضمار الوطء ويقتضيه، أي وطء أمهاتكم؛ لأن التحريم لا يضاف إلى الأعيان، فوجب لذلك إضمار فعل يتعلق به التحريم وهو الوطء.

٥- الإشارة: هي دلالة اللفظ على ما لم يقصد به أوليا، كقوله تعالى:{أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ (البقرة: ١٨٧)}، فإنه يدل على صحة صوم من أصبح جنبًا، لأنه يبيح الوطء إلى طلوع الفجر بحيث لا يتسع الوقت للغسل.

أقسام المفهوم:

أقسام المفهوم

١- مفهوم الموافقة: هو ما يوافق حكمه المنطوق - وهو نوعان:

أ- فحوى الخطاب: وهو ما كان المفهوم فيه أولى بالحكم من المنطوق، كفهم تحريم الضرب من قوله تعالى: {فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ (الإسراء: ٢٣)}؛ والمنطوق تحريم التأفيف، لأن الضرب أشد منه.

ب- لحن الخطاب: وهو ما كان المفهوم فيه مساويا بالحكم للمنطوق، كدلالة قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً (النساء: ١٠)}، على تحريم إحراق أموال اليتامى.

٢- مفهوم المخالفة: هو ما يخالف حكمه المنطوق - وهو أنواع:

أ- مفهوم صفة: والمراد بها الصفة المعنوية، كالمشتق: في قوله تعالى: {إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا (الحجرات: ٦)}، فمفهوم التعبير بـ «فاسق» أن غير الفاسق لا يجب التبين في خبره، فيجب قبول خبر الواحد العدل.

ب- مفهوم شرط، كقوله تعالى: {وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ (الطلاق: ٦)}، فمفهومه أن غير أولات الحمل لا يجب الإنفاق عليهن.

ج- مفهوم غاية، كقوله تعالى: {فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ (البقرة: ٢٣٠)}، فمفهوم هذا أنها تحل للأول إذا نكحت بشرطه.

د- مفهوم حصر، كقوله تعالى: {إنما إلهكم الله (طه: ٩٨)}، مفهومه أن غيره سبحانه ليس بإله.

شروط الاحتجاج بالمفاهيم	أ- ألا يكون المذكور خرج مخرج الغالب، فلا مفهوم للحجور في قوله تعالى: {وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ (النساء: ٣٢)}؛ لأن الغالب كون الربائب في حجور الأزواج.
	ب- ألا يكون المذكور لبيان الواقع، فلا مفهوم لقوله: {وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ (المؤمنون: ١١٧)}؛ لأن الواقع أن أي إله لا برهان عليه.

أدلة العلماء في الاحتجاج بمفهوم المخالفة	١- الدليل النقلي: ما رُوِي أنه لما نزل قوله تعالى: {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ (التوبة: ٨٠)}، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «قد خيرني ربي، فوالله لأزيدنه على السبعين».. ففهم النبي -صلى الله عليه وسلم- أن ما زاد على السبعين بخلاف السبعين.
	٢- الدليل العقلي: أنه لو كان حكم الفاسق وغير الفاسق سواء في قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا (الحجرات: ٦)}، في وجوب التبين في الخبر لما كان لتخصيص الفاسق بالذكر فائدة.

المبحث السابع عشر

إعجاز القرآن

القرآن أعظم المعجزات وأبقاها على مر العصور وتعاقب الدهور التي أيد الله عز وجل بها رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وتحدى بها بلغاء العرب، وجعلها باقية إلى يوم القيامة. والإعجاز والتحدي في القرآن لا ينكرهما إلا مكابر. فهو معجز في فصاحته، وبلاغته، ونظمه، وأسلوبه، وما تضمنه من الإخبار عن الماضي الغابر، والمستقبل البعيد، إضافة إلى ما فيه من التشريع المحكم، والعلوم المتنوعة، والآداب الرفيعة، والهدى والنور، والبركة.

تعريف الإعجاز وإثباته:

الإعجاز: إثبات العجز. والعجز في التعارف: اسم للقصور عن فعل الشيء. وهو ضد القدرة، والمراد بالإعجاز هنا: إظهار صدق النبي -صلى الله عليه وسلم- في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة -وهي القرآن- وعجز الأجيال بعدهم.

والمعجزة: أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة. وإعجاز القرآن هو إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به. والقرآن الكريم تحدى به النبي -صلى الله عليه وسلم- العرب، وقد عجزوا عن معارضته مع طول باعهم في الفصاحة والبلاغة، ومثل هذا لا يكون إلا معجزًا.

تحدى العرب بالقرآن
على مراحل أربع

أ- تحداهم بالقرآن كله، بقوله تعالى: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (الإسراء: ٨٨)}.

ب- تحداهم بعشر سور منه في قوله تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِين ـفَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ (هود: ١٤-١٣)}.

جـ- تحداهم بسورة واحدة منه في قوله: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ (يونس: ٣٨)}.

د- تحداهم بسورة واحدة من مثله في قوله تعالى: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِه (البقرة: ٢٣)}.

وجوه إعجاز القرآن:

اختلفت آراء العلماء في وجوه إعجازه:

اختلاف آراء العلماء في وجوه إعجاز القرآن
أ- مذهب أبي إسحاق إبراهيم النظام ومن تابعه - كالمرتضى من الشيعة- : أن إعجاز القرآن كان بالصرفة، ومعنى الصرفة في نظر النظام: أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها، فكان هذا الصرف خارقًا للعادة.
ب- مذهب ثان: أن القرآن مُعجز ببلاغته التي وصلت إلى مرتبة لم يُعهد لها مثيل - وهذه النظرة نظرة أهل العربية الذين يولعون بصور المعاني الحية في النسج المحكم، والبيان الرائع.
ج- مذهب ثالث: أن وجه إعجازه في تضمنه البديع الغريب المخالف لما عُهِد في كلام العرب من الفواصل والمقاطع.
د- يقول آخرون: إن إعجازه في الإخبار عن المغيبات المستقبلة التي لا يُطَّلع عليها إلا الوحي. أو الإخبار عن الأمور التي تقدمت منذ بدء الخلق بما لا يمكن صدوره من أمي لم يتصل بأهل الكتاب. كقوله: {الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (الروم: ١-٣)}.
هـ- ذهب جماعة إلى أن القرآن مُعجز لما تضمنه من العلوم المختلفة، والحِكَم البليغة.
و- مذهب آخر: أن القرآن معجز بكل ما يتحمله هذا اللفظ من معنى: فهو مُعْجز في ألفاظه وأسلوبه، وفي بيانه ونظمه، وفي معانيه. وهو مُعجز بعلومه ومعارفه التي أثبت العلم الحديث كثيرًا من حقائقها المغيبة. وهو مُعجز في تشريعه وصيانته لحقوق الإنسان وتكوين مجتمع مثالي تسعد الدنيا على يديه.

القدر المعجز من القرآن	أ- مذهب المعتزلة : أن الإعجاز يتعلق بجميع القرآن لا ببعضه.
	ب- مذهب ثان: أن المُعْجز منه القليل والكثير دون تقييد بالسورة لقوله تعالى: {فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ (الطور: ٣٤)}.
	جـ- مذهب آخر: أن الإعجاز يتعلق بأقصر سورة منه.

وقد تناول الشيخ مناع القطان في المباحث ثلاثة نواحي من الإعجاز القرآني وهي: ناحية الإعجاز اللغوي، وناحية الإعجاز العلمي، وناحية الإعجاز التشريعي. وننقل فيما يلي كلامه باختصار وتصرف يسير.

الإعجاز اللغوي:

إن القرآن الذي عجز العرب عن معارضته لم يخرج عن سُنن كلامهم. ألفاظًا وحروفًا، تركيبًا وأسلوبًا، ولكنه في اتساق حروفه، وطلاوة عبارته، وحلاوة أسلوبه، وجرس آياته، ومراعاة مقتضيات الحال في ألوان البيان، في الجمل الاسمية والفعلية، وفي النفي والإثبات، وفي الذكر والحذف، وفي التعريف والتنكير، وفي التقديم والتأخير، وفي الحقيقة والمجاز، وفي الإطناب والإيجاز. وفي العموم والخصوص، وفي الإطلاق والتقييد، وفي النص والفحوى، وغير ذلك، ولكن القرآن في هذا ونظائره بلغ الذروة التي تعجز أمامها القدرة اللغوية لدى البشر.فعن ابن عباس: "أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقرأ عليه القرآن، فكأنه رَقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال له: يا عم: إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالًا ليعطوكه، فإنك أتيت محمدًا لتتعرض لما قِبَلِه. قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالًا، قال: فقل فيه قولًا يبلغ قومك أنك منكر له

وكاره، قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني لا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقوله شيئًا من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يُعلى، وإنه ليحطم ما تحته، قال: والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر، يأثره عن غيره، فنزلت: {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً (المدثر: ١١)}.

وقد جاء القرآن على كثرته وطوله متناسبًا في الفصاحة على ما وصفه الله عز من قائل: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ (الزمر: ٢٣)}، {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا (النساء: ٨٢)}. فأخبر أن كلام الآدمي إن امتد وقع فيه التفاوت وبان عليه الاختلال.

الإعجاز العلمي:

إن إعجاز القرآن العلمي في أنه يحث المسلمين على التفكير، ويفتح لهم أبواب المعرفة، ويدعوهم إلى دراستها، والتقدم فيها، وقبول كل جديد راسخ من العلوم ، وذلك في قوله {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى (الروم: ٨)}. وقوله {وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ (الذاريات: ٢٠-٢١)}. وفي القرآن إشارات علمية سيقت مساق الهداية، فالتلقيح في النبات: ذاتي وخلطي، والذاتي: ما اشتملت زهرته على عضوي التذكير والتأنيث، والخلطي: هو ما كان عضو التذكير فيه منفصلًا عن عضو التأنيث كالنخيل، فيكون التلقيح بالنقل. ومن وسائل ذلك الرياح، وجاء في هذا قول الله تعالى: {وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ (الحجر: ٢٢)}. وقد ساد الاعتقاد بأن الذرة هي الجزء الذي لا يقبل التجزئة، وفي القرآن: {وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ

ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (يونس: ٦١)}، ولا أصغر من الذرة سوى تحطيم الذرة. وفي علم الأجنة جاء قوله تعالى: {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ، خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (الطارق: ٥-٧)}. وفي وحدة الكون وحاجة الحياة إلى عنصر الماء يقول تعالى: {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ (الأنبياء: ٣٠)}.

الإعجاز التشريعي:

إن القرآن يبدأ بتربية الفرد؛ لأنه لبنة المجتمع ويقيم تربيته على تحرير وجدانه، وتحمله التبعة. يحرر القرآن وجدان المسلم بعقيدة التوحيد الذي تُخَلِّصه من سلطان الخرافة والوهم، وتفك أسره من عبودية الأهواء والشهوات، حتى يكون عبدًا خالصًا لله، يتجرد للإله الخالق المعبود، ويستعلي بنفسه عما سواه، فلا حاجة للمخلوق إلا لدى خالقه، الذي له الكمال المطلق، ومنه يمنح الخير للخلائق كلها.

وإذا صحت عقيدة المسلم كان عليه أن يأخذ بشرائع القرآن في الفرائض والعبادات، وكل عبادة مفروضة يراد بها صلاح الفرد ولكنها مع ذلك ذات علاقة بصلاح الجماعة. فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، والزكاة تقتلع من النفس جذور الشح، وعبادة المال، والحرص على الدنيا، وهي مصلحة للجماعة، فتقيم دعائم التعاون بين الأغنياء والفقراء. والحج سياحة تدرب النفس على المشقة، وتفتح بصيرتها على أسرار الله في خلقه، وهو مؤتمر عالمي يجتمع فيه المسلمون على صعيد واحد، فيتعارفون ويتشاورون. والصيام ضبط للنفس، وشحذ لعزيمتها، وتقوية للإرادة، وحبس للشهوات، وهو مظهر اجتماعي يعيش فيه المسلمون شهرًا كاملًا على نظام واحد في طعامهم. كما تعيش الأسرة في البيت الواحد. وحض القرآن على الفضائل المثلى التي تروض النفس على الوازع الديني، كالصبر والصدق والعدل والإحسان والحلم والعفو والتواضع.

ومن تربية الفرد ينتقل الإسلام إلى بناء الأسرة؛ لأنها نواة المجتمع، فشرع القرآن الزواج استجابة لغريزة الجنس وإبقاء على النوع الإنساني في تناسل طاهر نظيف.

ويقوم رباط الأسرة في الزواج على الود والرحمة والسكن النفسي والعِشْرة بالمعروف، ومراعاة خصائص الرجل وخصائص المرأة، والوظيفة الملائمة لكل منهما: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً (الروم: ٢١)}.

ثم يأتي نظام الحكم الذي يسود المجتمع المسلم، وقد قرَّر القرآن قواعد الحكومة الإسلامية في أصلح أوضاعها. فهي حكومة الشورى والمساواة ومنع السيطرة الفردية: {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ (الشورى: ٣٨)}. {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ (الحجرات: ١٠)}.

وهي حكومة تقوم على العدل المطلق الذي لا يتأثر بحب الذات، أو عاطفة القرابة، أو العوامل الاجتماعية في الغِنَى والفقر: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً (النساء: ١٣٥)}.

والتشريع في الحكومة الإسلامية ليس متروكًا للناس، فقد قرره القرآن، والخروج عنه كفر وظلم وفسق: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (المائدة: ٤٤)}. وقرر القرآن صيانة الكليات الخمسة الضرورية للحياة الإنسانية: النفس، والدين، والعِرض، والمال، والعقل، ورتب عليها العقوبات المنصوصة، التي تُعرف في الفقه الإسلامي بالجنايات والحدود. وقرر القرآن العلاقات الدولية في الحرب والسلم بين المسلمين وجيرانهم أو معاهديهم، وهي أرفع معاملة عرفت في عصور الحضارة الإنسانية.

وخلاصة القول: إن القرآن دستور تشريعي كامل يقيم الحياة الإنسانية على أفضل صورة وأرقى مثال، وسيظل إعجازه التشريعي قرينًا لإعجازه العلمي وإعجازه اللغوي إلى الأبد. ولا يستطيع أحد أن ينكر أنه أحدث في العالَم أثرًا غيَّر وجه التاريخ.

المبحث الثامن عشر

أمثال القرآن

من بدائع الأسلوب القرآني المعجز ضرب الأمثال للناس، بقصد إيصال الأفكار المجردة بصورة حسية مرئية، يكون لها من الأثر في النفوس، والتأثير في العقول، ما لا يكون للفكرة المجردة من ذلك.

إن الله ذكر في القرآن الكريم آيات كثيرة عن الأمثال منها قوله تعالى: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (الزمر: ٢٧)}، {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (الحشر: ٢١}، {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (العنكبوت: ٤٣)}، وعن علي رضي الله عنه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «إن الله أنزل القرآن آمرًا وزاجرًا، وسُنة خالية، ومثلًا مضروبًا».

تعريف المثل	١- الأمثال: جمع مثل، والمَثل والمِثل والمثيل: كالشَّبه والشِّبه والشبيه لفظًا ومعنى.
	٢- المثل: قول محكي سائر يقصد به تشبيه حال الذي حُكِي فيه بحال الذي قيل لأجله، أي يشبه مضربه بمورده.
	٣- المثل: الحال والقصة العجيبة الشأن. وبهذا المعنى فُسر لفظ المثل في كثير من آيات. كقوله تعالى: {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ (محمد: ١٥)}: أي قصتها وصفتها التي يُتعجب منها.
	٤- المثل: المجاز المركب الذي تكون علاقته المتشابهة متى فشا استعماله. وأصله الاستعارة التمثيلية. كقولك للمتردد في فعل أمر: "ما لي أراك تُقدّم رجلًا وتؤخر أخرى".

وضابط المثل: هو إبراز المعنى في صورة رائعة موجزة لها وقعها في النفس، سواء أكانت تشبيهًا أو قولًا مرسلًا.

طرائق ضرب الأمثال في القرآن

١-طريقة التشبيه الصريح، كقوله تعالى: {إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ (يونس: ٢٤)}.

٢- طريقة التشبيه الضمني، كقوله تعالى: {وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ (الحجرات: ١٢)}، إذ ليس فيه تشبيه صريح.

٣- ما لم يشتمل على تشبيه ولا استعارة، كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شيئًا لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (الحج: ٧٣)}، فقوله: { إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً }. قد سماه الله مثلًا وليس فيه استعارة ولا تشبيه.

أنواع الأمثال في القرآن

١- الأمثال المصرحة

هي ما صرح فيها بلفظ المثل، أو ما يدل على التشبيه، وهي كثيرة في القرآن نورد منها ما يأتي:

قوله تعالى في حق المنافقين: {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ، صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ، أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ} إلى قوله: {إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (البقرة: ١٧-٢٠)}.

ففي هذه الآيات ضرب الله للمنافقين مثلين: مثلًا ناريًا في قوله: {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً} لما في النار من مادة النور، ومثلًا مائيًا في قوله: {أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ} .. لما في الماء من مادة الحياة.

٢- الأمثال الكامنة

هي التي لم يصرح فيها بلفظ التمثيل، ولكنها تدل على معان رائعة في إيجاز، يكون لها وقعها إذا نقلت إلى ما يشبهها، ومن أمثلة ذلك :

١- ما في معنى قولهم: «خير الأمور الوسط»: قوله تعالى في البقرة: {لا فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ (البقرة: ٦٨)}.

٢- ما في معنى قولهم: «ليس الخبر كالمعاينة»: قوله تعالى في إبراهيم عليه السلام: {قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي (البقرة: ٢٦٠)}.

٣- ما في معنى قولهم: «كما تدين تُدان»: قوله تعالى: {مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ (النساء: ١٢٣)}.

٤- ما في معنى: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»: قوله تعالى على لسان يعقوب: {قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْل (يوسف: ٦٤)} .

٣- الأمثال المرسلة

هي جمل أرسلت إرسالًا من غير تصريح بلفظ التشبيه. فهي آيات جارية مجرى الأمثال.

ومن أمثلة ذلك ما يأتي: {الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ (يوسف: ٥١)}. {لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ (النجم: ٥٨)}. {قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (يوسف: ٤١)}.{أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (هود: ٥٨)}.{لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ (الأنعام: ٦٧)}. {وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ (فاطر: ٤٣)}.{قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ (الإسراء: ٨٤)}. {وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ (البقرة: ٢٦٦)}.{كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (المدثر: ٣٨)}. {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (الرحمن: ٦٠)}. {كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (المؤمنون: ٥٣)}. {ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (الحج: ٧٣)}. {لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (الصفات: ٦١)}. {لا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ (المائدة: ١٠٠)}. {كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ (البقرة: ٢٤٩)}. {تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى (الحشر: ١٤)}.

اختلاف العلماء في حكم استعمال الأمثال المرسلة استعمال الأمثال:

١. رآى بعض أهل العلم أنه خروج عن أدب القرآن لأنه تعالى ما أنزل القرآن ليتمثل به، بل يتدبر فيه، ثم يعمل بموجبه.

٢. رآى آخرون أنه لا حرج فيما يظهر أن يتمثل الرجل بالقرآن في مقام الجد، كأن يحاوره صاحب مذهب فاسد يحاول استهواءه إلى باطله فيقول: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (الكافرون: ٦)}.

فوائد الأمثال	١- الأمثال تبرز المعقول في صورة المحسوس الذي يلمسه الناس، فيتقبله العقل.
	٢- الأمثال تكشف عن الحقائق، وتعرض الغائب في معرض الحاضر.
	٣- الأمثال تجمع المعنى الرائع في عبارة موجزة كالأمثال الكامنة والأمثال المرسلة.
	٤- المثل يضرب للترغيب في الممثَّل حيث يكون الممثَّل به مما ترغب فيه النفوس.
	٥- المثل يضرب للتنكير حيث يكون الممثَّل به مما تكرهه النفوس.
	٦- المثل يضرب لمدح الممثَّل.
	٧- المثل يضرب حيث يكون للممثَّل به صفة يستقبحها الناس.
	٨- الأمثال أوقع في النفس، وأبلغ في الوعظ، وأقوى في الزجر، وأقوم في الإقناع.

ضرب الأمثال بالقرآن:

إن العلماء يكرهون ضرب الأمثال بالقرآن، ولا يرون أن يتلو الإنسان آية من آيات الأمثال في كتاب الله عند شيء يعرض من أمور الدنيا، حفاظًا على روعة القرآن، ومكانته في نفوس المؤمنين، قال أبو عبيد: "وكذلك الرجل يريد لقاء صاحبه أو يهم بحاجته، فيأتيه من غير طلب فيقول كالمازح: {جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى (طه: ٤٠)}، فهذا من الاستخفاف بالقرآن"، ومنه قول ابن شهاب الزهري: "لا تناظر بكتاب الله ولا بسُنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-"، قال أبو عبيد: "يقول: لا تجعل لها نظيرًا من القول ولا الفعل".

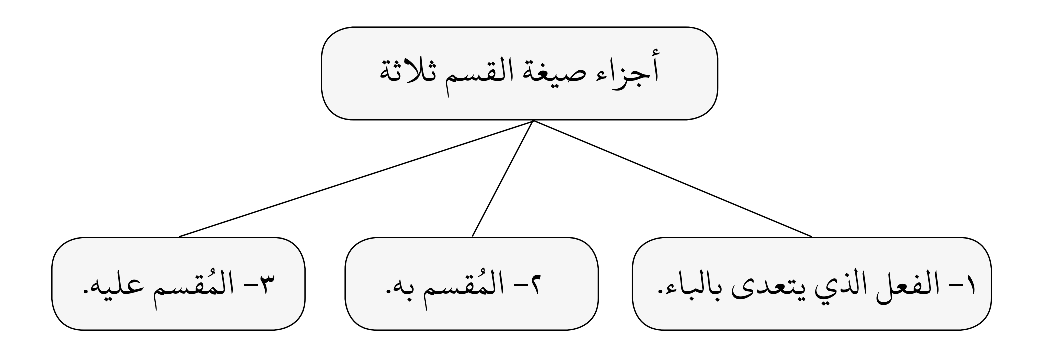
المبحث التاسع عشر

أقسام القرآن

إن القرآن الكريم نُــزّل للناس كافة، ومواقف الناس منه متباينة ومتخالفة؛ فمنهم مهتد موقن، ومنهم ضال منكر، ومنهم مصدق موافق، ومنهم مكذب مخاصم. وقد استدعتْ هذه المواقف المتباينة والمتخالفة أن يتوجه القرآن إلى كلٍّ منها بما يناسبه من خطاب، وبما يلائمه من أسلوب. وكان من الأساليب التي سلكها القرآن مع الكافرين والجاحدين أسلوب (القَسَم)، إقامة للحجة عليهم.

تعريف القَسَم وصيغته:

والأقسام: جمع قَسَم – بفتح السين– بمعنى الحلف واليمين، والصيغة الأصلية للقسم أن يؤتى بالفعل "أقسم" أو "أحلف" متعديًا بالباء إلى المُقسم به. ثم يأتي المُقسم عليه، وهو المسمى بجواب القسم، كقوله تعالى: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ (النحل: ٣٨)}. والقسم واليمين واحد: ويعرف بأنه: ربط النفس، بالامتناع عن شيء أو الإقدام عليه، بمعنى معظم عند الحالف حقيقة أو اعتقادًا. وسُمي الحلف يمينًا؛ لأن العرب كان أحدهم يأخذ بيمين صاحبه عند التحالف.



ولما كان القسم يكثر في الكلام، اختصر فصار فعل القسم يحذف ويكتفى بالباء ثم عُوِّض عن الباء بالواو في الأسماء الظاهرة كقوله تعالى: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (الليل: ١)}، وبالتاء في لفظ الجلالة كقوله: {وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ (الأنبياء: ٥٧)}، وهذا قليل، أما الواو فكثيرة.

أضرب الخبر وفائدة القسم في القرآن:

إن أضرب الخبر في العربية ثلاثة: الابتدائي، والطلبي، والإنكاري.
١- الابتدائي: إذا كان المخاطَب خالي الذهن من الحكم فيُلقى إليه الكلام غفلًا من التأكيد.
٢- الطلبي: إذا كان مترددًا في ثبوت الحكم وعدمه، فيحسن تقوية الحكم له بمؤكد ليزيل تردده.
٣- الإنكاري: إذا كان منكرًا للحكم، فيجب أن يؤكد له الكلام بقدر إنكاره قوة وضعفًا.

والقسم من المؤكدات المشهورة التي تمكن الشيء في النفس وتقويه، والقسم في كلام الله يزيل الشكوك، ويحبط الشبهات، ويقيم الحجة، ويؤكد الأخبار، ويقرر الحكم في أكمل صورة.

أنواع المقسم به في القرآن	ذات الله تعالى المقدسة الموصوفة بصفاته. وقد أقسم الله تعالى بنفسه في القرآن في سبعة مواضع	١- قوله: {زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ (التغابن: ٧)}.
		٢- قوله: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ (سبأ: ٣)}.
		٣- قوله: {وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ (يونس: ٥٣)}.
		وفي هذه الثلاثة أمر الله نبيه -صلى الله عليه وسلم- أن يقسم به.
		٤- قوله: {فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ (مريم: ٦٨)}.
		٥- قوله: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (الحجر: ٩٢)}.
		٦- قوله: {فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ (النساء: ٦٥)}.
		٧- قوله: {فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ (المعارج: ٤٠)}.
	مخلوقات الله وآياته المستلزمة لذاته وصفاته، وقد أقسم ببعض مخلوقاته ليدل على أنه من عظيم آياته.	قوله: {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا (الشمس: ١-٢)}.
		قوله: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى، وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى (الليل: ١-٣)}.
		قوله: {وَالْفَجْرِ، وَلَيَالٍ عَشْرٍ (الفجر: ١-٢)}.
		قوله: {فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (التكوير: ١٥)}.
		قوله: {وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ، وَطُورِ سِينِينَ (التين: ١-٢)}.

ولله أن يحلف بما شاء، أما حلف العباد بغير الله فهو ضرب من الشرك، فقد روى الترمذي عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "من حلف بغير الله فقد كفر - أو أشرك". وإنما أقسم الله بمخلوقاته؛ لأنها تدل على بارئها، وهو الله تعالى، وللإشارة إلى فضيلتها ومنفعتها ليعتبر الناس بها، وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: "إن الله يقسم بما شاء من خلقه وليس لأحد أن يقسم إلا بالله".

أنواع القسم:

أنواع القسم في القرآن

١- القسَم الظاهر: هو ما صُرح فيه بفعل القسم، وصرح فيه بالمُقسم به، ومنه ما حذف فيه فعل القسم كما هو الغالب اكتفاء بالجار من الباء أو الواو أو التاء. وقد أدخلت «لا» النافية على فعل القسم في بعض المواضع. كقوله تعالى: {لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (القيامة: ١-٢)}، وفي معنى «لا» أقوال:

أ-«لا» في الموضعين نافية لمحذوف يناسب المقام، والتقدير مثلًا: لا صحة لما تزعمون أنه لا حساب ولا عقاب، ثم استأنف فقال: أقسم بيوم القيامة، وبالنفس اللوامة، أنكم ستبعثون.

ب-قيل: «لا» لنفي القسم كأنه قال: لا أقسم عليك بذلك اليوم وتلك النفس، ولكني أسألك غير مقسِم، أتحسب أنَّا لا نجمع عظامك إذا تفرقت بالموت؟ إن الأمر من الظهور بحيث لا يحتاج إلى قسم.

ت-قيل: «لا» زائدة - وجواب القسم في الآية المذكورة محذوف دل عليه قوله بعد: {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ (القيامة: ٣)} ... إلخ، والتقدير: لتبعثن ولتحاسبن

٢- القسَم المضمر هو ما لم يصرِّح فيه بفعل القسم، ولا بالمقسَم به، وإنما تدل عليه اللام المؤكدة التي تدخل على جواب القسم كقوله تعالى: {لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ (آل عمران: ١٨٩)}، أي والله لتبلون.

أحوال المقسَم عليه:

١. المقسَم عليه يُراد بالقسم توكيده وتحقيقه، فلا بد أن يكون مما يحسن فيه ذلك، كالأمور الغائبة والخفية إذا أقسم على ثبوتها.

٢. جواب القسم يُذكر تارة -وهو الغالب- وتارة يحذف، وحذف مثل هذا من أحسن الأساليب؛ لأنه يدل على التفخيم والتعظيم، فحذف جواب القسم كقوله: {وَالْفَجْرِ، وَلَيَالٍ عَشْرٍ، وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ، وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ، هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ (الفجر: ١-٥)}، فالمراد بالقسم أن الزمان المتضمن لمثل هذه الأعمال أهل أن يقسِم الرب عز وجل به. فلا يحتاج إلى جواب.

٣. الفعل الماضي المثبت المتصرف الذي لم يتقدم معموله إذا وقع جوابًا للقسم تلزمه اللام و"قد"، ولا يجوز الاقتصار على إحداهما إلا عند طول الكلام. كقوله تعالى: {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا، وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا، وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا، وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا، وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (الشمس: ١-٩)}، فجواب القسم: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا} حذفت منه اللام لطول الكلام.

٤. إن الله يقسم على أصول الإيمان التي يجب على الخلق معرفتها فتارة يقسم على: أ- التوحيد كقوله: {وَالصَّافَّاتِ صَفًّا، فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا، فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا، إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ (الصافات: ١-٤)}. وتارة يقسم على: ب- أن القرآن حق كقوله تعالى: {فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ، وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ، إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (الواقعة: ٧٥-٧٧)}. وتارة على: ج- أن الرسول حق كقوله: {يس، وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ، إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (يس: ١-٣)}. وتارة على: د- الجزاء والوعد والوعيد: كقوله: {وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا، فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا، فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا، فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا،

إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ، وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (الذاريات: ١-٦)}. وتارة على: هـ- حال الإنسان، كقوله: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى، وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى، إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (الليل: ١-٤)}.

٥. القسم إما على جملة خبرية -وهو الغالب- كقوله تعالى: {فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ (الذاريات: ٢٣)}، وإما على جملة طلبية في المعنى كقوله تعالى: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (الحجر: ٩٢-٩٣)}. لأن المراد التهديد والوعيد.

القسم والشرط:

يجتمع القسم والشرط فيدخل كل منهما على الآخر فيكون الجواب للمتقدم منهما -قسمًا كان أو شرطًا- ويُغني عن جواب الآخر. وفيما يلي تحليلات لبعض الآيات التي يجتمع فيها القسم والشرط:

١. قوله تعالى: {لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ (مريم: ٤٦)} والتقدير: والله لئن لم تنته. وقد تقدم القسم على الشرط فكان الجواب للقسم وأغنى عن جواب الشرط، واللام الداخلة على الشرط هي اللام المؤْذِنة، وتسمى كذلك الموطِّئة؛ لأنها وطّأت الجواب للقسم، أي مهدئة له. ولا يقال: إن الجملة الشرطية هي جواب القسم المقدر، فإن الشرط لا يصلح أن يكون جوابًا؛ لأن الجواب لا يكون إلا خبرًا، والشرط إنشاء، وعلى هذا فإن قوله تعالى: {لَأَرْجُمَنَّكَ} يكون جوابًا للقسم المقدر أغنى عن جواب الشرط.

٢. قوله تعالى: {لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ (الحشر: ١٢)}، واللام الداخلة على الشرط هي الموطِّئة؛ لأنها كثيرا ما تدخل على "إن" الشرطية، وقوله: {لا يَخْرُجُونَ} جواب للقسم وأغنى عن جواب الشرط.

٣. قوله تعالى: {وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (المائدة: ٧٣)}. هنا تحذف اللام الموطئة وكان القسم مقدرًا قبل الشرط لأن دخول اللام الموطئة للقسم على الشرط ليس واجبًا. فالجواب للقسم لا للشرط لدخول اللام فيه وأنه ليس بمجزوم.

٤. قوله تعالى: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ (الإسراء: ٨٨)}. واللام في {لَئِنِ} هي الموطئة والجواب للقسم لا للشرط، ولو كانت جملة {لا يَأْتُونَ} جوابًا للشرط لجزم الفعل.

٥. قوله تعالى: {وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ (آل عمران: ١٥٨)}، فاللام في: {وَلَئِنْ} هي الموطئة للقسم، واللام في: {لَإِلَى اللهِ} هي لام القسم، أي الواقعة في الجواب، ولم تدخل نون التوكيد على الفعل للفصل بينه وبين اللام بالجار والمجرور، والأصل: لئن متم أو قتلتم لتحشرون إلى الله.

إجراء بعض الأفعال مجرى القسم:

إذا كان القسم يأتي لتأكيد المُقسم عليه فإن بعض الأفعال يجري مجراه إذا كان سياق الكلام في معناه، كقوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ (آل عمران: ١٨٧)}، فاللام في قوله: {لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ} لام القسم، والجملة بعدها جواب القسم؛ لأن أخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف.

وحمل المفسرون على هذا قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ (البقرة: ٨٤)}، وقوله: {وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ (النور: ٥٥)}.

المبحث العشرون

جدل القرآن

إن القرآن الكريم يخاطب الناس بكل دلائل العقل البرهانية، والجدلية والخطابية وذلك لكي يلبي كل حاجات الناس العقلية ومواهبهم وقدراتهم، وإن أكثر طرق الاستدلال التي استخدمها القرآن الكريم تتجلى في المنهج الكلامي الإسلامي.

تعريف الجدل:

الجدل والجدال: لفظ يدل على شدة الحبك وقوة الإحكام، ورجل جدل إذا كان أقوى في الخصام. وقد ذكره الله في القرآن على أنه من طبيعة الإنسان في قوله: {وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً (الكهف: ٥٤)}، أي خصومة ومنازعة. ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- يؤمر أن يجادل المشركين بالطريقة الحسنة التي تلين عريكتهم في قوله: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ (النحل: ١٢٥)}.

جدل القرآن هو أدلته وبراهينه التي اشتمل عليها وساقها لهداية الكافرين، وإلزام المعاندين في جميع ما هدف إليه من المقاصد والأهداف التي يريد تحقيقها في أذهان الناس في جميع أصول الشريعة وفروعها.

أنواع جدل القرآن وأدلته

النوع الأول- ما يذكره تعالى من الآيات الكونية المقرونة بالنظر والتدبر للاستدلال على أصول العقائد كتوحيده في ألوهيته، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ومن أمثلة هذا النوع قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ، الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلهِ أَندادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (البقرة: ٢١-٢٢)}.

النوع الثاني- ما ردّ الله به على الخصوم من الحجج والبراهين، ويلزم أهل العناد، ومن صوره:

١- تقرير المخاطب بطريق الاستفهام عن الأمور التي تسلم بها العقول، كالاستدلال بالخلق على وجود خالق في مثل قوله تعالى: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لا يُوقِنُونَ، أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ (الطور: ٣٥-٣٧)}.

٢- الاستدلال بالمبدأ على المعاد، كقوله تعالى: {فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ، خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ، يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ، إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (الطارق: ٥-٨)}.

٣- إبطال دعوى الخصم بإثبات نقيضها، كقوله تعالى: {قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدىً لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (الأنعام: ٩١)}، ردًّا على اليهود فيما حكاه الله عنهم بقوله: {وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ}.

٤- السبر والتقسيم - بحصر الأوصاف، وإبطال أن يكون واحد منها علة للحكم، كقوله تعالى: {ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (الأنعام: ١٤٢)}.

٥- إفحام الخصم وإلزامه ببيان أن مدعاه يلزمه القول بما لا يعترف به أحد، كقوله تعالى: {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (الأنعام: ١٠١)}.

النوع الثالث- ما ورد في القرآن بطريق الحوار، والقصد منه الاسترشاد وحب الاستطلاع والنظر إلى العظة والاعتبار أو الترجي والدعاء، كقوله تعالى: {ربّ أَرني كيْفَ تُحْي الموتى (البقرة: ٢٦٠)}.

النوع الرابع- ما يأتي على ألسنة الكفار من الاعتراضات والشبه والدعاوى الباطلة التي حكاها القرآن وبين بطلانها، وهذا يدخل في قوله تعالى: {وجادَلُوا بالبَاطل ليُدْحضُوا به الحق (الغافر\المؤمن: ٥)}.

طرائق القرآن في المجادلة:

الأولى: نوع منطقي تستنتج منه النتائج الصحيحة من المقدمات الصادقة. وقد ذكر أهل العلم أن أول سورة الحج إلى قوله تعالى {وأن الله يبعث من في القبور (الحج: ١)} فيها خمس نتائج من عشر مقدمات.

الثانية: الاستدلال على حدوث العالم بتغير الصفات عليه وانتقاله من حال إلى حال وهو آية الحدوث مثل الاستدلال على أن صانع العالم واحد بدلالة التمانع المشار إليه فى قوله تعالى : {لَوكَانَ فِيهِمَا آلهةٌ إلاَّ الله لَفَسَدَتَا (الأنبياء: ٢٢)}

الثالثة : الاستدلال بالتعريف مثل قوله تعالى : {وَجَعَلُوا ِللهِ شُرَكَاءَ الجِنَّ وَخَلَقَهُم وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيرِ عِلمٍ سُبحَانَهُ وَتَعَالىَ عَمَّا يَصِفُونَ (الأنعام: ١٠٠)}

الرابعة : إقامة الدليل على إعادة الله للإنسان بعد مماته مثل قياس الإعادة على الابتداء كما قال تعالى : { كَمَا بَدَأَكُم تَعُودُونَ (الأعراف: ٢٩)}

الخامسة : الاستدلال بالتجزئة مثل { أمن يبدأالخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أ إله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين (النمل: ٦٤)}

المبحث الواحد والعشرون

قصص القرآن

لقد جاء القرآن الكريم داعيًا إلى الهداية والرشاد، بأساليبَ شتى؛ فتارةً بالوعد والوعيد، وتارة بالإقناع العقلي، وتارة ثالثة بلمس الضمير والوجدان، ورابعةً بتوجيه الفطرة إلى حقيقتها، وخامسة بالإعجاز بشتى ألوانه، وأحياناً كثيرة: بأسلوب القصص الذي هو أقرب الوسائل التربوية إلى فطرة الإنسان، وأكثر العوامل النفسية تأثيرًا فيه، وذلك لما في هذا الأسلوب من المحاكاة لحالة الإنسان نفسه، فكأنه يعيش بكل كيانه في أحداث القصة.

معنى القصص

القص: تتبع الأثر. يقال: قصصت أثره: أي تتبعته، والقصص مصدر، قال تعالى على لسان أم موسى: {وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ (القصص: ١١)}، أي تتبعي أثره حتى تنظري من يأخذه. والقصص كذلك: الأخبار المتتبعة، قال تعالى: {إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ آل عمران: ٦٢)}، وقال: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (يوسف: ١١١)}،

والقصة: الأمر، والخبر، والشأن، والحال.

وقصص القرآن: أخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة - وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه.

أنواع القصص في القرآن:

القصص في القرآن ثلاثة أنواع

النوع الأول: قصص الأنبياء، وقد تضمن دعوتهم إلى قومهم، وموقف المعاندين منهم، كقصص نوح، وإبراهيم، وموسى، وهارون، وعيسى، ومحمد، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين.

النوع الثاني: قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت ثبوتهم، كقصة عبد صالح مع موسى، وطالوت وجالوت، وأهل الكهف، وذي القرنين، وقارون، وأصحاب السبت، ومريم، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل ونحوهم.

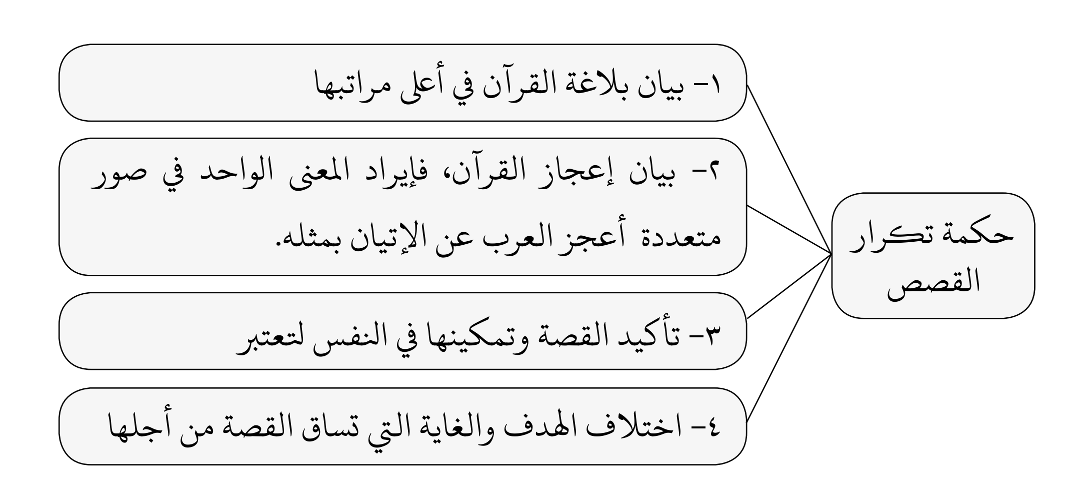
النوع الثالث: قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في التوبة، وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب، والهجرة، والإسراء، ونحو ذلك.

فوائد قصص القرآن:

فوائد القصص القرآني	١- إيضاح أسس الدعوة إلى الله، وبيان أصول الشرائع التي بعث بها كل نبي.
	٢- تثبيت قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلوب أمته على الدين.
	٣- تصديق الأنبياء السابقين.
	٤- إظهار صدق محمد في دعوته فيما أخبر به.
	٥-مقارعته أهل الكتاب بالحجة فيما كتموه من البينات والهدى.

حكمة تكرار القصص في القرآن:

.



المبحث الثاني والعشرون

ترجمة القرآن

إن القرآن الكريم الذي هو كلام الله المُنَزَّل على الرسول -صَلّى الله عليه وسَلّم- بلغة عربيَّة فَصِيحة، يَشتمل على أُصُول ومبادئ الإسلام العقائديَّة والتنظيميَّة والأخلاقيَّة، وأن كلَّ مُسلم يَحتاج إلى أن يَتعلم تلك المبادئ والأصول، سواء كان ذلك المُسلم ممن يُتْقِن اللغة العربية أو لا. وإن ذلك المسلم الذي لا يَستطيع فَهْم لغة القرآن يَحتاج إلى أن يَتَّبِع بنفسه توجيهات القرآن وأحكامه، ولا يَتِم له ذلك إلا بأن يكون القرآن مُتَرْجَمًا إلى لُغَته ترجمة أَمينة مُعبِّرة بأدقّ ما يكون التعبير عن المعاني والمقاصِد القرآنية.

معنى الترجمة:

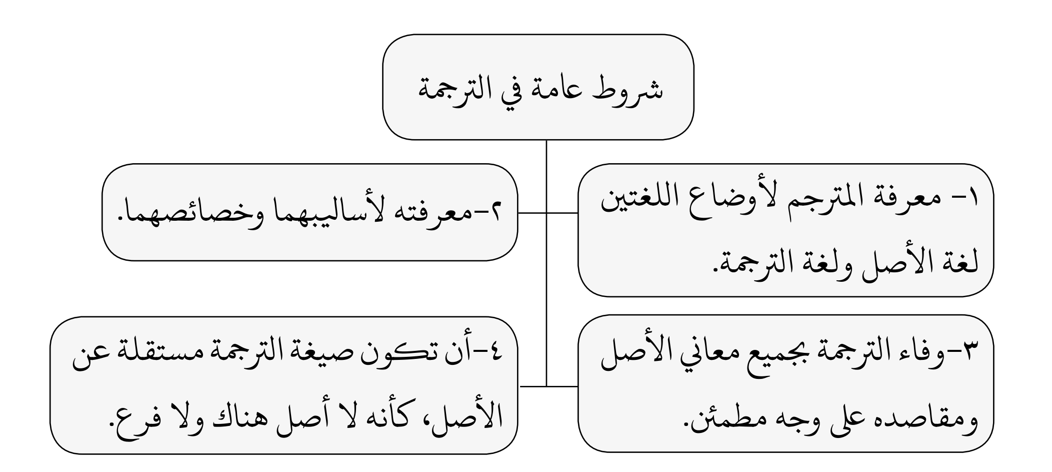
الترجمة هي التعبير عن معنى كلام في لغة بكلام آخر من لغة أخرى مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده. قال ابن منظور في اللسان: التُرجمان بالضم والفتح: هو الذي يترجم الكلام أي ينقله من لغة إلى لغة أخرى.

أقسام الترجمة

أولهما: الترجمة الحرفية:
وهي وضع لفظ مكان لفظ آخر من لغة أخرى مع مراعاة الموافقة في النظم والترتيب.

ثانيهما: الترجمة التفسيرية:
وهي شرح الكلام وبيان معناه بلغة أخرى بدون مراعاة لنظم الأصل وترتيبه.

حكم الترجمة الحرفية	الترجمة الحرفية للقرآن مستحيلة لأن القرآن نزل معجزا ولاستحالة استيعاب الترجمة كل الهدايات التي تحملها ألفاظ القرآن الكريم. فالترجمة الحرفية للقرآن لا يمكن أن تقوم مقام الأصل في تحصيل ما يقصد منه.
حكم الترجمة التفسيرية أوالمعنوية	الترجمة التفسيرية أوالمعنوية جائزة بل قد تكون واجبة إذا توقف عليها إسلام المدعوين على أن تكون تلك الترجمة قاصرة على المعاني الأصلية غير شاملة على المعاني الثانوية. والمراد بالمعاني الأصلية المعاني التي يستوي في فهمها كل من عرف مدلولات الألفاظ المفردة وعرف وجوه تراكيبها معرفة إجمالية. والمراد بالمعاني الثانوية خواص النظم التي يرتفع بها شأن الكلام، وبها كان القرآن معجزًا.



شرطان مضافان إلى الشروط الأربعة السابقة إذا ما كانت الترجمة حرفية

٥-وجود مفردات في لغة الترجمة مساوية للمفردات التي تألف منها الأصل حتى يمكن أن يحل كل مفرد من الترجمة محل نظيره.

٦-تشابه اللغتين في الضمائر المستترة والروابط التي تربط المفردات لتأليف التراكيب.

المبحث الثالث والعشرون

التفسير و التأويل

يعتبر القرآن الكريم أول مصدر معرفي إسلامي تلقاه المسلمون بالقبول والاهتمام قراءة وحفظا وتدوينا وتفسيرا وتطبيقا. ولا يستوي المسلمون في فهم معاني ألفاظه وعباراته، فالعامي يدرك من المعاني ظاهرها ومن الآيات مجملها، والعالم يستخرج منها المعنى الرائع. فقد شكّل القرآن الكريم مرتكزا معرفيا هاما لأبناء الأمة فاتخذوا النص القرآني أهم مادة دارت حولها دراساتهم لتفسير غريب أو تأويل تركيب.

معنى التفسير والتأويل:

التفسير	
في اللغة	في اللغة: الإيضاح والتبيين ومنه قوله تعالى في سورة الفرقان: {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً (الفرقان: ٣٣)} .
في الاصطلاح	١. علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية. ٢. علم يبحث فيه عن أحوال الكتاب العزيز من جهة نزوله وسنده وأدائه وألفاظه ومعانيه المتعلقة بالألفاظ والمتعلقة بالأحكام. ٣. علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب وغير ذلك كمعرفة النسخ وسبب النزول وما به توضيح المقام كالقصة والمثل.

والتعريف الثاني يشمل كثيرا من جزئيات ما يندرج في قواعد علم القراءات وعلم الأصول وعلم قواعد اللغة من نحو وصرف ومعان وبيان وبديع. والتعريف الثالث وسط بين التعريفين ومن السهل رجوعه إلى التعريف الأول لأن ما ذكر هنا بالتفصيل يعتبر بيانا لمراد الله من كلامه بقدر الطاقة البشرية في شيء من التفصيل.

التأويل

في اللغة: مرادف للتفسير في أشهر معانيه اللغوية قال صاحب القاموس أول الكلام تأويلا وتأوله دبره وقدره وفسره ومنه قوله تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ (آل عمران: ٧)} وكذلك جاءت آيات كثيرة فيها لفظ التأويل ومعناه في جميعها البيان والكشف والإيضاح.

في اصطلاح المفسرين:

١. بعضهم يرى أنه مرادف للتفسير وعلى هذا فالنسبة بينهما التساوي ويشيع هذا المعنى عند المتقدمين ومنه قول مجاهد إن العلماء يعلمون تأويله يعني القرآن وقول ابن جرير في تفسيره القول في تأويل قوله تعالى: كذا، واختلف أهل التأويل في هذه الآية.
٢. بعضهم يرى أن التفسير يخالف التأويل بالعموم والخصوص فقط ويجعل التفسير أعم مطلقا وكأنه يريد من التأويل بيان مدلول اللفظ بغير المتبادر منه لدليل ويريد من التفسير بيان مدلول اللفظ مطلقا.
٣. بعضهم يرى أن التفسير مباين للتأويل
   أ - فالتفسير هو القطع بأن مراد الله كذا والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون قطع وهذا هو قول الماتريدي.
   ب- التفسير بيان اللفظ عن طريق الرواية والتأويل بيان اللفظ عن طريق الدراية.
   ج- التفسير هو بيان المعاني التي تستفاد من وضع العبارة والتأويل هو بيان المعاني التي تستفاد بطريق الإشارة.

التفسير نوعان

النوع الأول تفسير جاف لا يتجاوز حل الألفاظ وإعراب الجمل وبيان ما يحتويه نظم القرآن الكريم من نكت بلاغية وإشارات فنية وهذا النوع قريب من التطبيقات العربية.

النوع الثاني تفسير يجاوز هذه الحدود ويجعل هدفه الأعلى تجلية هدايات القرآن وتعاليم القرآن وحكمه الله فيما شرع للناس في هذا القرآن على وجه يجتذب الأرواح ويفتح القلوب ويدفع النفوس إلى الاهتداء بهدي الله وهذا هو الجدير باسم التفسير.

فضل التفسير والحاجة إليه:

والتفسير من أجلِّ علوم الشريعة وأرفعها قدرًا، وهو أشرف العلوم موضوعًا وغرضًا وحاجة إليه لأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة. ومعدن كل فضيلة ولأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية وإنما اشتدت الحاجة إليه؛ لأن كل كمال ديني أو دنيوي لا بد وأن يكون موافقًا للشرع، وموافقته على العلم بكتاب الله.

قال الإمام السيوطي: القرآن إنما أنزل بلسان عربي في زمن أفصح العرب فكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه. أما دقائق باطنه فلا تظهر لهم إلا بعد البحث والنظر وسؤالهم النبي -صلى الله عليه وسلم- مثل قولهم: "وأينا لم يظلم نفسه" حينما نزل قوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ (الأنعام: ٨٢)} ففسره النبي -صلى الله عليه وسلم- بالشرك واستدل بقوله سبحانه: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (لقمان: ١٣)}.

وكذلك حين قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "من نوقش الحساب عذب" سألته عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- عن قوله تعالى: {فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً

يَسِيراً وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوْرًا (الإنشقاق: ٨-٩)} فقال -صلى الله عليه وسلم- ذلك العرض وكقصة عدي بن حاتم في الخيط الأبيض والخيط الأسود. ونحن محتاجون إلى ما كانوا يحتاجون إليه بل نحن أشد الناس احتياجا إلى التفسير لقصورنا عن مدارك اللغة وأسرارها بغير تعلم.

مما تقدم يتبين أن فائدة التفسير هي التذكر والاعتبار ومعرفة هداية الله في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق ليفوز الأفراد والمجاميع بخير العاجلة والآجلة.

وسمي علم التفسير لما فيه من الكشف والتبيين واختص بهذا الاسم دون بقية العلوم مع أنها كلها مشتملة على الكشف والتبيين لأنه لجلالة قدره واحتياجه إلى زيادة الاستعداد وقصده إلى تبيين مراد الله من كلامه كان كأنه هو التفسير وحده دون ما عداه.

المبحث الرابع والعشرون

أقسام التفسير

إن الناظر لكتب التفاسير التي خلفها علماء الإسلام، يرى تنوعا كبيرا بينها، بحيث يمكن تقسيمها إلى عدة أقسام، بالنظر إلى عدة اعتبارات، ولقد أرجع المتخصصون تلك الأقسام إلى اعتبارات ثلاثة؛ اعتبار المصادر، واعتبار التناول والعرض، واعتبار الاتجاهات. وهذه الاعتبارات لم يراعِ فيها المقابلة، فلم تكن العلاقة بينها علاقة تناقض.

ذكر الزركشي في البرهان أقسام التفسير عند ابن عباس، وهي أربعة:

١. حلال وحرام لا يعذر أحد بجهالته فهو ما تبادر إلى الأفهام معرفة معناه من النصوص المتضمنة شرائع الأحكام ودلائل التوحيد وكل لفظ أفاد معنى واحدا جليا يعلم أنه مراد الله تعالى فهذا القسم لا يلتبس تأويله إذ كل أحد يدرك معنى التوحيد من قوله تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ (محمد: ١٩)} أنه لا شريك له في الألوهية.
٢. تفسير تفسره العرب بألسنتها وهو ما يرجع إلى لسانهم من اللغة والإعراب.
٣. تفسير تفسره العلماء فهو الذي يغلب عليه إطلاق التأويل وذلك باستنباط الأحكام وبيان المجمل وتخصيص العموم وكل لفظ احتمل معنيين فصاعدا فهو الذي لا

يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه اعتمادا على الدلائل والشواهد دون مجرد الرأي.

٤. تفسير لا يعلمه إلا الله وهو ما يجري مجرى الغيوب كالآيات التي تذكر فيها الساعة والروح والحروف المقطعة وكل متشابه في القرآن عند أهل الحق فلا مساغ للاجتهاد في تفسيره ولا طريق إلى ذلك إلا بالتوقيف بنص من القرآن أو الحديث أو إجماع الأمة على تأويله.

أقسام التفسير باعتبار المصادر

١. التفسير بالمأثور هو ما يعتمد على القرآن أو السنة أو كلام الصحابة بيانا لمراد الله تعالى من كتابه.

أ - مثال ما جاء في القرآن قوله تعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ (المائدة: ٣)} الآية فإنها بيان للفظ ما يتلى عليكم من قوله سبحانه: {أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ (المائدة: ٢)}.

ب- مثال ما جاء في السنة شرحا للقرآن أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- فسر: "القوة بالرمي" في قوله سبحانه: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ (الأنفال: ٦٠}.

٢. التفسير بالرأي هو ما يعتمد على الاجتهاد، فإن كان الاجتهاد موفقا أي مستندا إلى النقل عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مع التحرز عن الضعيف والموضوع، والأخذ بقول الصحابي مما لا مجال للرأي فيه، والأخذ بمطلق اللغة مع الاحتراز عن صرف الآيات إلى ما لا يدل عليه الكثير من كلام العرب، والأخذ بما يقتضيه الكلام بعيدا عن الجهالة والضلالة فالتفسير به محمود وإلا فمذموم.

٣. التفسير الإشاري هو تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر والمراد أيضا.

حكم التفسير بالمأثور:

التفسير بالمأثور هو الذي يجب اتباعه والأخذ به؛ لأنه طريق المعرفة الصحيحة. وهو آمن سبيل للحفظ من الزلل والزيغ في كتاب الله بشرط صحة المرويات والنقل.

حكم التفسير بالرأي:

وتفسير القرآن بمجرد الرأي والاجتهاد من غير أصل حرام لا يجوز تعاطيه، قال تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ (الإسراء: ٣٦}، وقد اختلف العلماء في حكمه:

وقد اختلف العلماء في حكمه

أدلة المانعين

{الأول} أن التفسير بالرأي قول على الله بغير علم والقول على الله بغير علم منهي عنه فالتفسير بالرأي منهي عنه. لقوله تعالى: {وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ)الأعراف: ٣٣)}

{الثاني} الحديثان الآتيان: ما يرويه الترمذي عن ابن عباس عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «...من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار». وما يرويه أبو داود عن جندب قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ» .

{الثالث}: ما ورد عن الصحابة والتابعين من أنهم كانوا يتحرجون عن القول في القرآن بآرائهم ومن ذلك ما روي عن الصديق -رضي الله عنه- أنه قال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في القرآن برأيي أو بما لا أعلم.

أدلة المجيزين

{الأول} أن الله تعالى يقول: {أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (محمد: ٢٤)}، ووجه الاستدلال أن الله تعالى حث على تدبر القرآن والاعتبار بآياته والاتعاظ بمواعظه وهذا يدل على أن أولي الألباب عليهم أن يتأولوا ما لم يستأثر الله بعلمه لأن التدبر والاتعاظ فرع الفهم والتفقه في كتاب الله.

{الثاني}: أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قال في دعائه لابن عباس: «اللَّهُمَّ فقهه في الدين وعلمه التأويل» فلو كان التأويل مقصورا على السماع والنقل للفظ التنزيل لما كان هناك فائدة لتخصيصه.

{الثالث}: لو كان التفسير بالرأي غير جائز لتعطل كثير من الأحكام واللازم باطل ووجه الملازمة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يذكر تفسير كل آية والمجتهد مأجور وإن أخطأ ما دام غرضه الوصول إلى الحق والصواب.

ويمكن أن يجعل الخلاف لفظيا بأن يحمل كلام المجيزين للتفسير بالرأي على التفسير بالرأي المحمود فإنه يكون حينئذ موافقا لكتب الله وسنة رسوله وكلام العرب وهذا جائز. ويحمل كلام المانعين للتفسير بالرأي المذموم الذي فقدت شروطه السابقة فإنه يكون حينئذ مخالفا للأدلة الشرعية واللغة العربية وهذا غير جائز.

حكم التفسير الإشاري:

وقد اختلف العلماء في التفسير المذكور فمنهم من أجازه ومنهم من منعه. وقال الزركشي في البرهان: كلام الصوفية في تفسير القرآن قيل إنه ليس بتفسير وإنما هو معان ومواجيد يجدونها عند التلاوة كقول بعضهم في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ (التوبة: ١٢٣)} إن المراد النفس يريدون أن علة الأمر بقتال من يلينا هي القرب وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه. وقال التفتازاني وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها ومع ذلك ففيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف لأرباب السلوك يمكن التوفيق بينها وبين الظواهر المرادة فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان.

والفرق بين تفسير الصوفية المسمى بالتفسير الإشاري وبين تفسير الباطنية الملاحدة هو أن الصوفية لا يمنعون إرادة الظاهر بل يحضون عليه ويقولون لا بد منه أولا إذ من ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم الظاهر كمن ادعى بلوغ سطح البيت قبل أن يجاوز الباب. وأما الباطنية فإنهم يقولون: إن الظاهر غير مراد أصلا وإنما المراد الباطن وقصدهم نفي الشريعة.

شروط قبول التفسير الإشاري

- ألا يتنافى وما يظهر من معنى النظم الكريم.
- ألا يدعى أنه المراد وحده دون الظاهر.
- ألا يكون تأويلا بعيدا سخيفا كتفسير بعضهم قوله تعالى: {وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (العنكبوت:٦٩)} بجعل كلمة {لَمَعَ} ماضيا وكلمة {الْمُحْسِنِينَ} مفعوله.
- ألا يكون له معارض شرعي أو عقلي.
- أن يكون له شاهد شرعي يؤيده.

وجدير بالذكر أن هذه شروط لقبوله بمعنى عدم رفضه فحسب وليست شروطا لوجوب اتباعه والأخذ به ذلك لأنه لا يتنافى وظاهر القرآن ثم إن له شاهدا يعضده من الشرع وكل ما كان كذلك لا يرفض وإنما لم يجب الأخذ به لأن النظم الكريم لم يوضع للدلالة عليه بل هو من قبيل الإلهامات التي تلوح لأصحابها غير منضبطة بلغة ولا مقيدة بقوانين.

أقسام التفسير باعتبار تناوله وعرضه

الأول: التفسير التحليلي وهو شرح النص القرآني على الترتيب من خلال مباحث الألفاظ من شرح المفردات، وتوجيه الإعراب، وذكر القراءات فيها، وكذلك من خلال المعاني من تقرير ما تضمنه النص القرآني من توجيهات وتفاصيل الأحكام. نحو التفسير الكبير وتفسير ابن كثير وغير ذلك.

الثاني: التفسير الإجمالي وهو عرض المعنى القرآني عرضا مجملا يقتصر فيه على شرح ما يحتاج إلى بيان من الألفاظ بالقدر الضروري للمعرفة وعلى ذكر المعنى العام بالإيجاز. نحو تفسير الجلالين وتفسير المنير للشيخ النواوي البنتاني وغير ذلك.

الثالث: التفسير الموضوعي وهو أن يتناول المفسر موضوعا معينا ويتتبع جوانبه كلها من خلال القرآن. نحو التصوير الفني في القرآن ومشاهد القيامة في القرآن للشهيد سيد قطب، والنبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز وغير ذلك.

الرابع: التفسير المقارن وهو أن يعرض المفسر أقوال المفسرين في تفسير الآيات ودراستها وتحقيقها ثم مقارنتها، وقد يحللها وقد يرجح بعضها على بعض. نحو صفوة التفاسير لمحمد على الصابوني والتفسير الوسيط للدكتور محمد سيد طنطاوي وغير ذلك.

أقسام التفسير باعتبار الاتجاهات

الأول: التفسير العلمي وهو الذي تَخضع فيه ألفاظ القرآن للاصطلاحات العلمية ويستخرج منها سائر العلوم والأراء الفلسفية. مثل كتاب جواهر القرآن للإمام الغزالي والجواهر للشيخ طنطاوي جوهري.

الثاني: التفسير المذهبي وهو الذي يفسر القرآن ويتعصب لمذهب معين، يحمله على التعسف في تفسير الآيات وتأويلها انتصارًا لمذهبه، ويشتد في الرد على المخالفين. مثل الكشاف للزمخشري المعتزلي ومجمع البيان للطبرسي الشيعي.

الثالث: التفسير الفقهي وهو الذي يتناول آيات الأحكام في القرآن ويستخرج منها الأدلة الفقهية ويوضحها توضيحا لصالح مذهب معين. مثل الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي وأحكام القرآن للجصاص

الرابع: التفسير الأدبي الاجتماعي وهو الذي يفسر القرآن تفسيرا أدبيا اجتماعيا، ويطبق الآيات المنزلة على ما في الكون من سنن الاجتماع. مثل تفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا والتفسير المراغي.

المبحث الخامس والعشرون

المفسرون؛
شروطهم وآدابهم وطبقاتهم

من المعلوم أنه ما من علم من علوم الدين والدنيا إلا وقد اشترط أهله له شروطاً. فللفقهاء شروطهم، وللغويين شروطهم وآدابهم، والمفسرون أولى وأحرى بأحسن الآداب وأقوى الشروط التي تضمن سلامة المعنى وصيانة القرآن من أن يكون عرضة للأهواء واللعب وعدم الاهتمام. فالقرآن الكريم هو الذي ينبغي أن يبحث عن الشروط التي ينبغي أن يتحلى بها من تصدى لتفسير القرآن الكريم.

تعريف المفسر:

المفسر هو الذي يبحث عن أحوال القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر طاقته البشرية.

شروط المفسِّر

١- صحة الاعتقاد: فإن العقيدة الصحيحة لها أثرها في نفس صاحبها.

٢- التجرد عن الهوى: فالأهواء تدفع أصحابها إلى نصرة مذهبهم.

٣- أن يبدأ أولًا بتفسير القرآن بالقرآن، فإن القرآن يفسر بعضه بعضا.

٤- أن يطلب التفسير من السّنَّة فإنها شارحة للقرآن موضحة له وإنها مبيِّنة للكتاب.

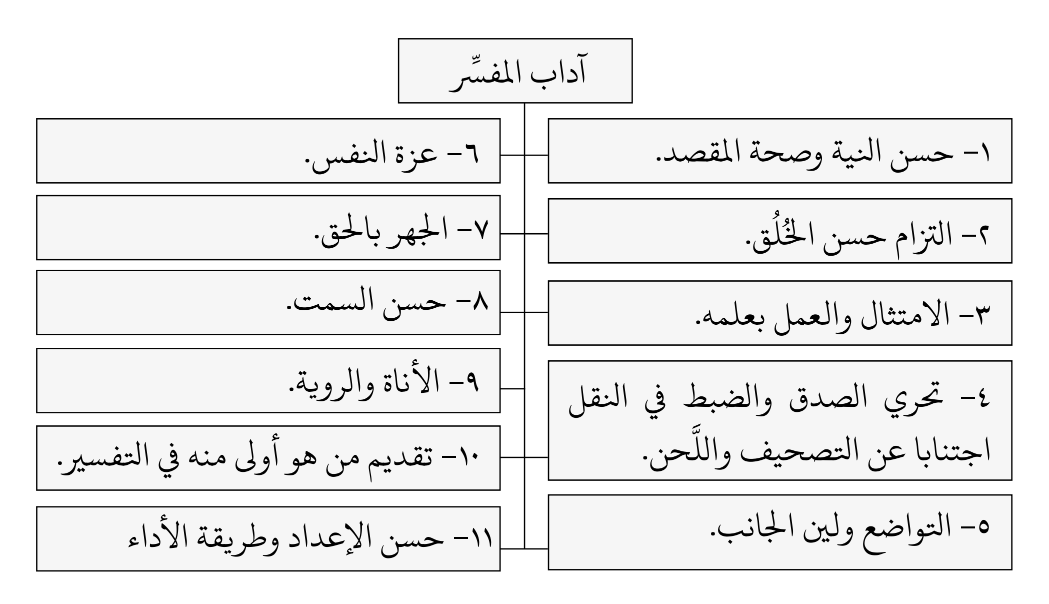
٥- أن يرجع إلى أقوال الصحابة إذا لم يجد التفسير من السّنَّة فإنهم أدرى بذلك.

٦- أن يرجع إلى أقوال أئمة التابعين، إذا لم يجد التفسير في القرآن ولا في السّنَّة ولا في أقوال الصحابة.

٧- العلم باللغة العربية وفروعها: فإن القرآن نزل بلسان عربي، ويتوقف فهمه على شرح مفردات الألفاظ العربية.

٨- العلم بأصول العلوم المتصلة بالقرآن، كعلم القراءات، وعلم التوحيد، وعلم الأصول، وأصول التفسير.

٩- دقة الفهم التي تمكن المفسر من ترجيح معنى على آخر، أو استنباط معنى يتفق مع نصوص الشريعة.



طبقات المفسرين

١- طبقات الصحابة	اشتهر منهم الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأُبَيُّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير، وأنس بن مالك، وأبو هريرة، وجابر، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهم أجمعين.
٢- طبقات التابعين	اشتهر في مكة أصحاب ابن عباس - مجاهد، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس، وسعيد بن جبير، وطاوس وغيرهم. وفي الكوفة أصحاب ابن مسعود - علقمة، والأسود بن يزيد، وإبراهيم النخعي، والشعبي. وفي المدينة - زيد بن أسلم، ومن هذه الطبقة أيضا: الحسن البصري، وعطاء بن أبي مسلم الخراساني، ومحمد بن كعب القرظي، وأبو العالية رفيع بن مهران الرياحي، والضحاك بن مزاحم، وعطية بن سعيد العوفي. وقتادة بن دعامة السدوسي، والربيع بن أنس، والسدي.
٣- طبقات تابعي التابعين	سفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، وشعبة بن الحجاج، ويزيد بن هارون، وعبد الرزاق، وآدم بن أبي إياس، وإسحاق بن راهويه، وعبد بن حميد، وروح بن عبادة، وأبي بكر بن أبي شيبة، وآخرون.

٤- الطبقة التي تليهم	علي بن أبي طلحة، وابن جرير الطبري، وابن أبي حاتم، وابن ماجه، والحاكم، وابن مردويه، وأبو الشيخ بن حبان، وابن المنذر.
٥- الطبقة بعدهم	صنفت تفاسير مشحونة بالفوائد اللغوية، ووجوه الإعراب، وما أثر في القراءات بروايات محذوفة الأسانيد، وقد يضيف بعضهم شيئًا من رأيه، مثل أبي إسحاق الزجاج، وأبي علي الفارسي، وأبي بكر النقاش، وأبي جعفر النحاس.
٦- الطائفة من المتأخرين	ألفوا في التفسير واختصروا الأسانيد، ونقلوا الأقوال بتراء، فدخل من هنا الدخيل، والتبس الصحيح بالعليل.
٧- الطبقة التالية	نقلوا الأقوال ظانًّا منهم أن لها أصلًا، غير ملتفتين إلى تحرير ما ورد عن السلف الصالح، ومن هم القدوة في هذا الباب - قال السيوطي: رأيت في تفسير قوله تعالى: {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ (الفاتحة: ٧)} نحو عشرة أقوال، مع أن الوارد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وجميع الصحابة والتابعين ليس غير اليهود والنصارى.
٨- الطبقة التالية	برعوا في شيء من العلوم وصنفوا التفسير وتأثروا بعلومهم وملؤوا كتبهم بما غلب على طبعهم من الفن، واقتصروا فيه على ما تَمَهَّروا فيه. فالنحوي كأبي حيان في البحر والنهر، والإخباري كالثعالبي، والفقيه كالقرطبي، وصاحب العلوم العقلية، كالإمام فخر الدين الرازي، والأدبي كالزمخشري المعتزلي في الكشاف، والشيعي كالطبرسي في مجمع البيان.
٩- الطبقة في عصر النهضة الحديثة	منهم محمد عبده، والسيد محمد رشيد رضا، ومحمد مصطفى المراغي، وسيد قطب، ومحمد عزة دروزة. عنوا بطلاوة الأسلوب، وحسن العبارة، والاهتمام بالنواحي الاجتماعية، والأفكار المعاصرة، والمذاهب الحديثة.

المبحث السادس والعشرون

كتب التفسير

لقد حظي القرآن الكريم باهتمام أعلام الأمة الاسلامية حوله لفهم نصوصه المطهرة والعمل بما تتضمنه من أحكام عديدة فيها صلاح هذه الأمة، ومن ثم نشأت التفاسير المتنوعة لكتاب الله سبحانه وتعالى والاستعانة فى ذلك بالعلوم الخادمة لهذا الغرض الجليل. ولقد اختلفت أنظار المفسرين وطرقهم ومناهجهم فى التفسير تبعا لاختلاف مشاربهم، فمنهم من اعتمد على الروايات المأثورة، ومنهم من غلبت عليه النزعة الفكرية العقائدية فتوسع توسعا كبيرا فى شرح الآيات المتصلة بهذه المعاني، ومنهم من غلبت عليه النزعة الفقهية الشرعية فتوسع توسعا كبيرا فى هذه النواحى وهكذا من توسع فى القصص والأخبار ومن توسع فى الأخلاق والتصوف والمواعظ وآيات الله فى الأنفس والآفاق وغير ذلك. وكذلك كان من المفسرين من أطال ومنهم من أوجز واختصر ومنهم من توسط بين هذا وذاك وقد تركوا ثروة علمية ضخمة جديرة بالتقدير والاحترام.

أشهر الكتب المؤلفة في التفسير بالمأثور:

١- جامع البيان في تفسير القرآن للطبري	٢ - بحر العلوم للسمرقندي
٣- الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي	٤-معالم التنزيل للبغوي
٥- تفسير القرآن العظيم لابن كثير	٦-الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي

وسنعرف بها فيما يلي:

١- جامع البيان في تفسير القرآن	
مؤلفه	هو الإمام محمد بن جرير بن يزيد بن خالد بن كثير أبو جعفر الطبري، الآملي الأصل، البغدادي المولد والوفاة - ولد سنة ٢٢٤هـ، وتوفي سنة ٣١٠هـ، وكان عالِمًا فذًّا كثير الرواية ذا بصيرة بالنقل والترجيح بين الروايات، وله باع طويل في تاريخ الرجال وأخبار الأمم.
منهجه	«جامع البيان في تفسير القرآن» أَجَلُّ التفاسير وأعظمها، وهو المرجع الأصيل للمفسرين بالأثر، يورد الإمام ابن جرير التفسير مسندًا إلى الصحابة والتابعين وأتباعهم، ويتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض، وقد أجمع العلماء المعتبرون على أنه لم يؤلف في التفسير مثله، ويمتاز ابن جرير بالاستنباط الرائع، والإشارة إلى ما خفي في الإعراب، وبذلك كان تفسيره فوق أقرانه من التفاسير.

٢ - بحر العلوم	
مؤلفه	هو الإمام أبو الليث، نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي القفيه الحنفي المعروف بإمام الهدى، اشتهر بكثرة الأقوال المفيدة والتصانيف المشهورة. توفي سنة ٣٧٤ هـ.
منهجه	يفسر الإمام السمرقندي القرآن بالمأثور عن السلف، فيسوق الروايات عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم في التفسير، ولكنه لا يذكر إسناده إلى من يروى عنهم. ومن الملاحظ إنه إذا ذكر الأقوال والروايات لا يعقب عليها ولا يرجح كما يفعل ابن جرير. وقد يعرض للقراءات وقد يحتكم إلى اللغة ويشرح القرآن بالقرآن إن وجد ما يوضح معناه ويروي من القصص الإسرائيلية ويروي أحيانا من الضعفاء.
٣- الكشف والبيان عن تفسير القرآن	
مؤلفه	هو الشيخ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري يقال له الثعلبي والثعالبي صاحب التفسير والعرائس في قصص الأنبياء، وكان مقرئا، مفسرا، واعظا، أديبا، حافظا كما قال ياقوت في معجمه، وعنه أخذ الإمام أبو الحسن الواحدي التفسير ، وأثنى عليه، وكانت وفاته سنة ٤٢٧ هـ.
منهجه	لم يقصر الإمام الثعالبي تفسيره على المأثور فحسب، بل جمع فيه إلى المأثور ذكر الوجوه، والقراءات، والعربية واللغات، والإعراب والموازنات، والتفسير والتأويلات، والأحكام والفقهيات، والحكم والإشارات والفضائل والكرامات... ثم ذكر في أول الكتاب : أسانيده إلى مصنفات أهل عصره، وكتب الغريب، والمشكل، والقراءات. وقد ملأ كتابه هذا بالموضوعات والقصص الإسرائيلي، الذي فسر به بعض القرآن الكريم.

٤-معالم التنزيل	
مؤلفه	هو العلامة الشيخ أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد البغوي، الفقيه الشافعي، المحدث، المفسر، يعرف بأبي القراء ، ويلقب بمحيي السنة وركن الدولة وكان تقيا، ورعا، زاهدا، قانعا، لا يلقي الدرس إلا على طهارة، وكانت وفاته سنة ٥١٠ هـ.
منهجه	جمع الإمام البغوي فيه بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي والاجتهاد المقبول، كما لم يذكر فيه الأسانيد، اكتفاء بذكرها في أول كتابه، كما صنع الثعلبي في تفسيره الذي هو أصل تفسيره ومرجعه. ولم يكثر من المباحث اللغوية، والنحوية، والفقهية. وقد جمع فيه بين الصحيح، والضعيف، وذكر فيه كثيرا من الإسرائيليات.
٥- تفسير القرآن العظيم	
مؤلفه	هو إسماعيل بن عمر القرشي ابن كثير البصري ثم الدمشقي، عماد الدين أبو الفداء الحافظ المحدِّث الشافعي. ولد سنة ٧٠٥هـ، وتوفي سنة ٧٧٤هـ، بعد حياة زاخرة بالعلم، فقد كان فقيهًا متقنًا، ومحدِّثًا بارعًا، ومؤرخًا ماهرًا، ومفسرًا ضابطًا، قال فيه الحافظ ابن حجر: «إنه كان من محدِّثي الفقهاء».
منهجه	وتفسير ابن كثير من أشهر كتب التفسير في العناية بما رُوِي عن مفسري السلف، وبيان معاني الآيات وأحكامها.و قد عني ابن كثير بما يسمونه تفسير القرآن بالقرآن، فهو أكثر ما عرفنا من كتب التفسير سردًا للآيات المتناسبة في المعنى، ويلي ذلك فيه الأحاديث المرفوعة التي تتعلق بالآية وبيان ما يُحتج به منها، ويليها آثار الصحابة وأقوال التابعين ومَن بعدهم من علماء السلف. ويذكّر بما في التفسير المأثور من منكرات الإسرائيليات ويحذّر منها بالإجمال، ويبيّن لبعض منكراتها بالتعيين.

٦-الدر المنثور في التفسير بالمأثور	
مؤلفه	هو الإمام الحافظ جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي ولد سنة ٨٤٩ هـ، تبحر في كثير من العلوم حتى قال : إنه وصل فيها إلى رتبة الاجتهاد، وترك المؤلفات الكثيرة، وكان من حفاظ الحديث وعلمائه المتبحرين فيه، العالِمِين به رواية ودراية، متنا، ورجالا، ومصطلحا، وقد اعتزل الناس في آخر حياته ، وترك التدريس والإفتاء، وتفرغ للعبادة، وكانت وفاته بمقياس الروضة، بالقاهرة المُعِزِّيَة، سنة ٩١١ هـ.
منهجه	جمع الإمام السيوطي فيه الروايات عن النبي، والصحابة، والتابعين، ولم يذكر فيه إلا المرويات الصرفة ، وقد ذكر في مقدمته، أنه لخصه من كتابه: «ترجمان القرآن» ، وهو التفسير المسند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى الصحابة والتابعين، وقد التزم فيه إخراج الأسانيد التي روى بها الأئمة هذه المرويات، وعزى كل رواية إلى من أخرجها.

أشهر الكتب المؤلفة في التفسير بالرأي:

١ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري	٢- مفاتيح الغيب للرازي
٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي	٤- مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي
٥-لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن	٦- البحر المحيط لأبي حيان
٧-السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للشربيني	٨-إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود
٩-روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني للألوسي	

وسنعرف بها فيما يلي:

١ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل	
مؤلفه	هو الإمام أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري - ولد في السابع والعشرين من شهر رجب سنة ٤٦٧ هـ بزمخشر، وهي قرية كبيرة من قرى خوارزم، رحل إلى مكة وجاور بها زمانًا، فقيل له «جار الله» وبها ألّف كتابه في التفسير، وتوفي الزمخشري سنة ٥٣٨ هـ، بجرجانية خوارزم بعد رجوعه من مكة.
منهجه	يشير جار الله الزمخشري في مقدمته إلى جمال القرآن وسحر بلاغته لما له من إحاطة بعلوم البلاغة والبيان والأدب والنحو والتصريف فيذكر أن مَن يتصدى للتفسير لا يغوص على شيء من حقائقه، إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما «علم المعاني»، و«علم البيان». اعتنق مذهب الاعتزال، ودعا إليه، وصار من أئمة المعتزلة.
٢- مفاتيح الغيب الشهير بالتفسير الكبير	
مؤلفه	الإمام محمد بن عمر بن الحسن التميمي البكري الطبرستاني الرازي فخر الدين المعروف بابن الخطيب الشافعي. ولد بالري سنة ٥٤٣ ه وتوفي بخراة سنة ٦٠٦ هـ. ودرس العلوم الدينية والعلوم العقلية، فتعمق في المنطق والفلسفة، وبرز في علم الكلام، وله في هذا كله الكتب والشروح والتعليقات، حتى عدوه من فلاسفة عصره، ولا تزال كتبه مراجع مهمة لمن يسمونهم بالفلاسفة الإسلاميين.

منهجه	يهتم الإمام الفخر الرازي ببيان المناسبات بين آيات القرآن وسوره، ويُكْثِر من الاستطراد إلى العلوم الرياضية والطبيعية والفلكية والفلسفية ومباحث الإلهيات على نمط استدلالات الفلاسفة العقلية، ويذكر مذاهب الفقهاء. فكتابه موسوعة علمية في علم الكلام، وفي علوم الكون والطبيعة.
٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل	
مؤلفه	هو الشيخ الإمام، قاضي القضاة، ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي، الشافعي، أصله من «شيراز» في جنوب إيران، وبها كانت نشأته العلمية الأولى، وبها تخرج في الفقه والأصول، والمنطق، والكلمة، والكلام والأدب، وبرع في الأصوليين، وضم علوم العربية والأدب إلى علوم الشريعة والحكمة، ولى قضاء شيراز مدة، وكانت وفاته بتبريز سنة ٦٨٥ هـ.
منهجه	يجمع الإمام البيضاوي بين التفسير والتأويل على مقتضى القواعد اللغوية والشرعية، وهو متأثِّر في طريقته في بيان الألفاظ، والتراكيب، ونكت البلاغة- بتفسير الكشاف للزمخشري ، ولكنه قرر فيه الأدلة على أصول أهل السنة، وهو في هذا متأثر بالإمام فخر الدين الرازي. ويصوغ الإمام البيضاوي تفسيره صياغة محكمة دقيقة، فهو لا يضع الكلمة إلا بميزان، ونحا فيه منحى الإيجاز والتركيز.
٤- مدارك التنزيل وحقائق التأويل	
مؤلفه	هو الإمام أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي الحنفي، المتوفى سنة ٧٠١ هـ. كان إمامًا بارعًا في الفقه، والأصول، عالمًا بالتفسير والحديث، وإن لم يكن من حفاظه وأئمته.

منهجه	يعتبر كتابه مختصرًا لتفسير الكشاف غير أنه صانه من الآراء الاعتزالية التي بثها الزمخشري في تفسيره، وحذف منه طريقة السؤال والجواب، في الإفصاح عن وجوه البلاغة، وأسرار الإعجاز، وبيان المعاني ، وهي الطريقة التي عرف بها الزمخشري، وهو من التفاسير التي تعنى بالتنبيه إلى القراءات السبع المتواترة ، ونسبة كل قراءة إلى قارئها.
٥-لباب التأويل في معاني التنزيل	
مؤلفه	هو الإمام علاء الدين أبو الحسن على بن محمد إبراهيم ، الشيحي البغدادي، الشافعي الصوفي، المشهور بالخازن. ولد ببغداد سنة ٦٧٨ هـ، قال ابن قاضي شهبة : وكان من أهل العلم ، جمع ، وألَّف وحدث ببعض مصنفاته. وكان صوفيا، حسن السمت، بشوش الوجه، متوددًا للناس. توفي سنة ٧٤١ هـ.
منهجه	وقد صدر كتابه هذا بمقدمة مفيدة في فضل القرآن وتلاوته، ووعيد من تكلم في تفسير بغير علم، وجمع القرآن وترتيبه ونزوله على سبعة أحرف، ومعنى التفسير والتأويل، وقد جمع كتابه هذا من تفسير البغوي، و التفاسير التي تقدمته. ويعنَى صاحبه بتخريج الأحاديث في كتابه، مشيرا إلى صاحب الكتاب بالحرف تارة، وذاكرا الاسم تارة، وما لم يكن في الكتب المشهورة ورواه البغوي؛ عزاه إليه وما أخذه البغوي عن الثعلبي بينه. وقد امتلأ هذا التفسير كأصليه: تفسير البغوي، وتفسير الثعلبي بالقصص، والأخبار، والإسرائيليات الباطلة، ولا سيما في قصص الأنبياء، وأخبار الأمم الماضية، والفتن، والملاحم.

٦- البحر المحيط	
مؤلفه	هو الإمام أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، الغرناطي، الجياني، الشهير بأبي حيان، ولد سنة ٦٥٤ هـ، وتوفي سنة ٧٥٤ هـ. كان رحمه الله ملمًّا بالقراءات؛ متواترها، وصحيحها، وشاذها، كما كان على جانب كبير من العلم باللغة وآدابها، والعلم بالنحو والصرف حتى صار إماما فيهما، وذا رأي معتبر في مسائلهما.
منهجه	يهتم الإمام أبو حيان فيه بذكر وجوه الإعراب، ومسائل النحو، ويتوسع في هذا فيذكر الخلاف بين النحويين، ويناقش ويجادل، حتى أصبح الكتاب أقرب ما يكون إلى كتب النحو منه إلى كتب التفسير. وينقل أبو حيان في تفسيره كثيرًا من تفسير الزمخشري وتفسير ابن عطية. ولا سيما ما يتعلق بمسائل النحو ووجوه الإعراب، ويتعقبها كثيرًا بالرد، ويحمل على الزمخشري أحيانًا حملات قاسية، وإن كان يشيد بما له من مهارة فائقة في تجلية بلاغة القرآن وقوة بيانه.
٧- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير	
مؤلفه	هو الشيخ العلامة شمس الدين محمد بن محمد الشربيني الشافعي، الخطيب، نشأ بالقاهرة، وعلى شيوخ عصره أخذ. وقد كان رحمه الله على جانب من الصلاح ، والورع ، والزهد ، وكثرة العبادة ، وكان يعتكف طوال شهر رمضان من كل عام ، توفي عصر يوم الخميس الثاني من شعبان سنة ٩٧٧ هـ.

منهجه	إن تفسير الشربيني تفسير وسط بين الإطناب والإيجاز، اقتصر فيه على أصح الأقوال غالبا، ولم يذكر من الأعاريب إلا ما كانت الحاجة ماسة إليه، اعتمد فيه صاحبه على تفاسير من سبقه كالزمخشري والبيضاوي، والبغوي، والرازي وغيرهم، وقد ينقل فيه بعض تفسيرات مأثورة عن السلف، كما التزم فيه أن لا يذكر من الأحاديث إلا صحيحها، وحسنها، دون ذكر الضعيف والموضوع، ولذلك يتعقب الزمخشري ، والبيضاوي في ذكرهما للحديث الموضوع الطويل في فضائل السور سورة، سورة، كما ينبه على الأحاديث الضعيفة إن روى شيئا منها في تفسيره.
٨- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم	
مؤلفه	هو الإمام القاضي المفتي أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي ، ولد سنة ٨٩٣ هـ، بقرية قريبة من القسطنطينية، تتلمذ على والده، وغيره من العلماء، وكان أبو السعود عالما ، أديبا، متمكنا من اللغات الثلاث العربية، والفارسية، والتركية، وقد مكنت له معرفته بهذه اللغات الاطلاع على الكثير من الكتب التي أُلِّفَتْ بها، فاكتسب علمًا غزيرًا. توفي بالقسطنطينية سنة ٩٨٢ هـ.

منهجه	تأثر العلامة أبو السعود في تفسيره بالكتابين المشهورين : الكشاف، وتفسير البيضاوي، ولكنه خلصه من اعتزاليات الزمخشري، ونهج فيه منهج أهل السنة. وهو خال من الاستطرادات والتوسع في ذكر الأحكام الفقهية والنحوية، ويكاد يكون خالصا للتفسير، وقد عني فيه عناية بالغة بإبراز وجوه البلاغة وأسرار الإعجاز في القرآن الكريم، ولا سيما في باب الفصل والوصل، ووجوه المناسبات بين الآيات، ولما كان أبو السعود ليس عربي المربى، وتغلب عليه الناحية العقلية، فقد جاءت عباراته وأساليبه في تفسيره فيها شيء كثير من العمق والدقة اللذين يبدُوَانِ في نظر القارئين له لونا من ألوان التعقيد والغموض والإغراب، وقد يذكر المبتدأ، أو الشرط ولا يذكر الخبر، أو جواب الشرط إلا بعد بضعة أسطر.
٩- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني	
مؤلفه	هو إمام المفسرين، أبو الثناء شهاب الدين السيد الإمام محمود بن عبد الله الآلوسي البغدادي، الحنفي، مفتي بغداد، وعالمها في القرن الثالث عشر الهجري. وُلِدَ سنة ١٢١٧ هـ، في جانب الكرخ من بغداد. نبغ في العلوم من صغره، وأخذ عن كثير من فحول علماء عصره منهم والده، والشيخ خالد النقشبندي، واشتغل بالتدريس، والتأليف وهو ابن ثلاث عشرة، وقد تتلمذ عليه كثير. وتوفي سنة ١٢٧٠ هـ.

منهجه	تفسير «روح المعاني» خير تفسير، وأجمعه، وأوفاه، وقد جمع الإمام الألوسي فيه خلاصة كل كتب التفسير قبله وحواشيها، ولا سيما حاشية: تفسير الكشاف، وحاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي، وقد حل بعض رموزها، وعباراتها الخفية التي استعصى فهم المراد منها على العلماء، وله استدراكات قيمة، وتعقبات دقيقة لمن سبقه من العلماء. وكثيرًا ما يدلي برأيه بين الآراء وله أفكاره النيرة. وذكر التفسير الإشاري لنزعة تصوُّفية، وليجيء كتابه جامعا لكل الألوان التفسيرية، ومرضيا لجميع الأذواق.

أشهر تفاسير الفقهاء:

١- أحكام القرآن للجصاص	٢- أحكام القرآن لابن العربي
٣- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي	٤- فتح القدير للشوكاني
٥- أضواء البيان للشنقيطي	

وسنعرِّف بها فيما يلي:

١- أحكام القرآن	
مؤلفه	هو الإمام أبو بكر أحمد بن علي الرازي المشهور بالجصاص -نسبة إلى العمل بالجص- من أئمة الفقه الحنفي في القرن الرابع الهجري. ويعتبر كتابه «أحكام القرآن» من أهم كتب التفسير الفقهي، ولا سيما عند الأحناف. ولد ببغداد سنة ٣٠٥هـ وتوفي سنة ٣٧٠هـ.

منهجه	قد اقتصر المؤلف في هذا الكتاب على تفسير الآيات التي تتعلق بالأحكام الفرعية، فيورد الآية أو الآيات، ثم يتولى شرحها بشيء من المأثور في معناها، ويستطرد في ذكر المسائل الفقهية التي تتصل بها من قريب أو بعيد، ويسوق الخلافات المذهبية، حيث يشعر القارئ أنه يقرأ في كتاب من كتب الفقه، لا في كتاب من كتب التفسير.
٢- أحكام القرآن	
مؤلفه	هو الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعافري الأندلسي الإشبيلي الشهير بابن العربي. من أئمة علماء الأندلس المتبحرين. وهو مالكي المذهب. وكتابه «أحكام القرآن» أهم مرجع للتفسير الفقهي عند المالكية. ولد بإشبيلية سنة ٤٦٨هـ وتوفي سنة ٥٤٣هـ.
منهجه	يذكر الإمام ابن العربي آراء العلماء في تفسير الآية مقتصرًا على آيات الأحكام، ويُبين احتمالاتها المختلفة لدى المذاهب المتعددة، ويُفرد كل نقطة في تفسير الآية بعنوان. فيقول: المسألة الأولى.. المسألة الثانية.. وهكذا، ويحتكم ابن العربي في تفسيره إلى اللغة في استنباط الأحكام. وينفر من الإسرائيليات، ويتعرض لنقد الأحاديث الضعيفة ويحذر منها.
٣- الجامع لأحكام القرآن	
مؤلفه	هو الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، الخزرجي الأندلسي، عالِم فذ من علماء المالكية. له مصنفات كثيرة، أشهرها كتابه في التفسير «الجامع لأحكام القرآن». توفي سنة ٦٧١هـ.

منهجه	لم يقتصر الإمام القرطبي في تفسيره على آيات الأحكام وإنما يفسر القرآن الكريم تباعًا، فيذكر سبب النزول، ويعرض للقراءات والإعراب، ويشرح الغريب من الألفاظ، ويضيف الأقوال إلى قائليها، ويضرب صفحًا عن كثير من قصص المفسرين، وأخبار المؤرخين، وينقل عن العلماء السابقين الموثوقين. ولا سيما من ألَّف منهم في كتب الأحكام، فينقل عن ابن جرير الطبري، وابن عطية، وابن العربي، وأبي بكر الجصاص. ويفيض القرطبي في بحث آيات الأحكام، فيذكر مسائل الخلاف، ويسوق أدلة كل رأي، ويعلق عليها، ولا يتعصب لمذهبه المالكي. ويرد القرطبي على الفرق، فيرد على المعتزلة، والقدرية، والروافض، والفلاسفة، وغلاة المتصوفة، ولكن بأسلوب مهذب.
٤- فتح القدير	
مؤلفه	هو القاضي محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني الإمام المجتهد، ناصر السُّنَّة، وقامع البدعة. ولد سنة ١١٧٣هـ في بلدة هجرة شوكان، ونشأ بصنعاء، فقرأ القرآن، وأخذ يطلب العلم، ويسمع من العلماء الأعلام، وحفظ كثيرًا من متون النحو والصرف والبلاغة، والأصول وآداب البحث والمناظرة، وتوفي سنة ١٢٥٠هـ.
منهجه	يذكر الإمام الشوكاني الآيات ثم يفسرها تفسيرا معقولا ومقبولا، ثم ينقل الروايات التفسيرية الواردة عن السلف، ويعتمد على فحول المفسرين كالنحاس، وابن عطية، والقرطبي والزمخشري، ويذكر المناسبة بين الآيات ويحتكم إلى اللغة في الترجيح، ويتعرض أحيانا للقراءات السبع، ويعرض لمذاهب العلماء الفقهية ويذكر أقوالهم وأدلتهم ويرجح بينها ويدلي برأيه في مسائل الاجتهاد والاستنباط ثم يختم تفسير بعض الآيات بالأحاديث والأخبار التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن السلف.

٥- أضواء البيان	
مؤلفه	هو الإمام محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن محمد بن أحمد الشنقيطي الموريتاني. ولد سنة ١٣٢٥ هـ/١٩٠٥م بشنقيط وهو الجزء الشرقي من دولة موريتانيا. وكان عالما في النحو والصرف والأصول والبلاغة والتفسير والحديث وكان فقيها من فقهاء المالكية. توفي بالمدينة سنة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
منهجه	يفسر الإمام الشنقيطي القرآن بالقرآن ويعتمد في ذلك على القراءات السبع، ويبين الأحكام الفقهية في جميع الآيات المبينة بالفتح في كتابه، فهو يبين ما فيها من الأحكام وأدلتها من السنة وأقوال العلماء فيها ويرجح ما ظهر له بالدليل. وقد تضمن كتابه أمورا زائدا على ذلك كتحقيق بعض المسائل اللغوية وتحقيق بعض المسائل الأصولية والكلام على أسانيد الحديث.

أشهر كتب التفسير في العصر الحديث:

١- الجواهر في تفسير القرآن للشيخ طنطاوي جوهري	٢- تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا
٣ – تفسير المراغي للإمام المراغي	٤ – التحرير والتنوير لابن عاشور
٥ - التفسير البياني للقرآن الكريم لـبنت الشاطئ	٦- تفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي
٧ – تفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج لوهبة الزحيلي	

وسنعرِّف بها فيما يلي:

١- الجواهر في تفسير القرآن	
مؤلفه	هو الشيخ طنطاوي جوهري العالم الفيلسوف حكيم الإسلام، من العلماء الموسوعين الذين جمعوا بين علوم كثيرة يبدو بعضها متناقضة، فكان من علماء الأزهر. ولد بقرية «كفر عوض الله حجازي» سنة ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م وتوفي سنة ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م.
منهجه	عُني الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره عناية فائقة، بالعلوم الكونية، وعجائب الخَلْقِ، ويقرر في تفسيره أن في القرآن من آيات العلوم ما يربو على سبعمائة وخمسين آية، ويهيب بالمسلمين أن يتأملوا في آيات القرآن التي تُرْشد إلى علوم الكون، ويحثهم على العمل بما فيها، ويفضلها على غيرها في الوقت الحاضر، حتى على فرائض الدين، ويخلط في كتابه خلطًا، فيضع في تفسيره صور النبات والحيوانات ومناظر الطبيعة، وتجارب العلوم، ويشرح بعض الحقائق الدينية بما جاء عن أفلاطون في جمهوريته، وعن إخوان الصفا في رسائلهم، ويستخدم الرياضيات، ويفسر الآيات تفسيرًا يقوم على نظريات علمية حديثة.
٢- تفسير المنار	
مؤلفه	هو الشيخ محمد رشيد بن علي رضا بن شمس الدين بن بهاء الديم القلموني الجسيمي، مجدد عصره، ولد في ١٨٦٥ م ونشأ في طربلس الشام، وفيها تلقى العلم ثم جلس للناس يعلمهم ويرشدهم، قال عنه الإمام محمد عبده «ترجمان أفكاري»، وتوفي سنة ١٩٣٥ م.

منهجه	بدأ الشيخ محمد رشيد رضا تفسيره من أول القرآن، وانتهى عند قوله تعالى: {رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ}، ثم انتقل إلى جوار ربه قبل أن يتم تفسير القرآن. وهو تفسير غني بالمأثور عن سالف هذه الأمة من الصحابة التابعين، وبأساليب اللغة العربية، وبسُنَن الله الاجتماعية، يشرح الآيات بأسلوب رائع، ويكشف عن المعاني بعبارة سهلة، ويوضح كثيرًا من المشكلات، ويرد على ما أُثِير حول الإسلام من شبهات خصومه، ويعالج أمراض المجتمع بهَدْي القرآن، ويصرح الشيخ رشيد بأن هدفه من هذا التفسير هو: «فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة».
٣ – تفسير المراغي	
مؤلفه	هو الإمام أحمد مصطفى بن محمد بن عبد المنعم المراغي، ولد سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م بالضفة الغربية جمهورية مصر العربية، تعلم بجامعة الأزهر وكلية دار العلوم بالقاهرة، عالم في التفسير والأصول والبلاغة وله مؤلفات في تلك الفنون. وتوفي بحلوان سنة ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.
منهجه	يختار الإمام المراغي لدروسه من آيات القرآن ما تتجلى فيه قدرة الله وآيات عظمته وما تظهر فيه وسائل هداية البشر فلا يخوض في مبهمات القرآن بالتفصيل، ولا يدخل في جزئيات سكت عنها القرآن وأعرض عنها الرسول. ويهتم الإمام المراغي بإظهار سر التشريع الإسلامي وحكمة التكليف الإلهي ويعرض لمشاكل المجتمع وأسباب الانحطاط في دول الإسلام فيعالج كل ذلك بما يفيضه الله على قلبه وعقله ولسانه من هداية القرآن وإرشاده.

٤ – التحرير والتنوير	
مؤلفه	هو الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور. وهو عالم فقيه تونسي، واختير لمنصب شيخ الإسلام المالكي وأول شيخ لجامعة الزيتونية، صاحب النظرة التجديدية والإصلاحية. ولد سنة ١٢٩٦هـ/١٨٧٩م وتوفي سنة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
منهجه	يقدم الشيخ ابن عاشور لتفسيره «المعنى السديد وتنوير العقل الجديد في تفسير الكتاب المجيد» الشهير بـالتحرير والتنوير بمقدمات عشر ذات صلة بالتفسير وعلوم القرآن، ثم يبدأ بتفسير الآيات القرآنية مرتبة حسب ترتيب المصحف ويهتم فيه بالجوانب البلاغية للقرآن ويهتم بالقراءات اهتماما ملحوظا، ويذكر أسباب النزول مستعينا بها على فهم الآيات ولا يكثر الاستشهاد بالأحاديث النبوية والآثار وحين يذكرها يذكرها محذوفة الأسانيد وأحيانا يعقب عليها بتصحيح أو تضعيف. ومما يلاحظ في تفسيره أنه يحرص على إظهار الآداب التي توحي بها الآيات، والمعاني التي تحملها لتربية النفوس وتهذيبها، وهو بهذا يبرز الجانب التربوي في الآيات الذي يعد من أهم الجوانب التي تظهر بها وظيفة القرآن.
٥ – التفسير البياني للقرآن الكريم	
مؤلفته	هي الدكتورة عائشة محمد علي عبد الرحمن، المشهورة بـ «بنت الشاطئ». ولدت بدمياط سنة ١٩١٣م. مفكرة وكاتبة مصرية وأستاذة جامعية وباحثة، وهي أول امرأة تحاضر بجامعة الأزهر. توفيت بالقاهرة سنة ١٩٩٨م.

منهجه	تهتم الدكتورة بنت الشاطئ في تفسيرها بالبيان العربي وتذكر في المقدمة أنها اهتدت إلى هذه الطريقة لمعالجة مشكلاتنا في حياتنا الأدبية واللغوية. وهي تعتمد في تحقيق الأغراض التي تهدف إليها على كتب التفسير التي لها عناية بوجوه البلاغة القرآنية، وتُعبِّر تعبيرًا أدبيًّا راقيًا. ومن محاذير هذا النهج في التفسير أنه يَغفل جوانب القرآن المتعددة من أسرار الإعجاز في معانيه وتشريعاته، وأحكامه ومبادئه للحياة الإنسانية الفاضلة. ويتخذ من النص القرآني مادة للدراسة الأدبية كالنص الشعري أو النثري، ودراسة النصوص الأدبية تعتمد على الذوق اللغوي الذي يتفاوت من شخص لآخر بتفاوت ثقافته.
٦- تفسير الوسيط	
مؤلفه	هو فضيلة الإمام الأستاذ الدكتور محمد سيد عطية طنطاوي ولد بسليم سوهاج بمصر سنة ١٩٢٨م. شيخ الأزهر، أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر الشريف، وكان مفتيا في جمهورية مصر العربية في عهد حسني مبارك، توفي بالرياض سنة ٢٠١٠م.
منهجه	يبدأ الإمام الأكبر بشرح الألفاظ القرآنية شرحا لغويا مناسبا ثم يبين المراد منها -إذا كان الأمر يقتضي ذلك-، ثم يذكر أسباب النزول للآية أو الآيات -إذا وجد وكان مقبولا-، ثم يذكر المعنى الإجمالي مع عرض ما اشتملت عليه من وجوه البلاغة والبيان، والعظات والآداب والأحكام مدعما ذلك بما يؤيد المعنى من آيات أخرى ومن الأحاديث النبوية ومن أقوال السلف الصالح من المفسرين والفقهاء والمـحدثين.

٧ – تفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج	
مؤلفه	الأستاذ الدكتور وهبة بن مصطفي الزحيلي، ولد بمدينة دمشق سنة ١٣٥١ﻫ/ ١٩٣٢م. خبير المجامع الفقهية في مكة وجدة والهند وامريكا والسودان. كان عالما ومفسرا وفقيها وأصوليا ولغويا ومن أبرز علماء أهل السنة والجماعة في سوريا في العصر الحديث.
منهجه	يقسم الدكتور وهبة الزحيلي الآيات القرآنية إلى وحدات موضوعية بعناوين موضحة، ويبين ما اشتملت عليه كل سورة إجمالا، ويوضح اللغويات، ثم يورد أسباب نزول الآيات في أصح ما ورد فيها ونبذ الضعيف منها، ثم يبدأ بالتفسير وبيان الآية ويستنبط منها الأحكام، ويستعين في توضيح المعاني بالإعراب والتحليل البلاغي. وكان الدكتور شديد العناية بالتفسير الموضوعي وهو إيراد تفسير مختلف الآيات القرآنية الواردة في موضوع واحد.

أشهر كتب التفسير للعلماء الإندونيسيين :

١ – تفسير مراح لبيد لكشف معنى قرآن مجيد الشهير بتفسير المنير للشيخ النووي البنتني	٢ – تفسير البيان للشيخ محمد حسبي الصديقي
٣ – تفسير الأزهر للحاج عبد الكريم أمر الله	٤ – الإبريز لمعرفة تفسير الكتاب العزيز للشيخ بصري مصطفى
٥ – تفسير المصباح للدكتور قريش شهاب	

وسنعرِّف بها فيما يلي:

١ – تفسير مراح لبيد لكشف معنى قرآن مجيد الشهير بتفسير المنير	
مؤلفه	هو الشيخ محمد النووي الجاوي البنتني، الإمام المدقق سيد علماء الحجاز الفقيه الصوفي المفسر شيخ العلماء الإندونيسيين الأجلاء، مؤلفاته متداولة في المعاهد الإندونيسية وحظيت بقبول منقطع النظير. ولد بـسرانْج بنتن سنة ١٨١٣م وتوفي بمكة سنة ١٨٩٧م.
منهجه	يسلك الشيخ النووي المنهج الإجمالي في تفسير القرآن حيث يعرض المعنى القرآني عرضا مجملا يقتصر فيه على شرح ما يحتاج إلى بيان من الألفاظ بالقدر الضروري للمعرفة وعلى ذكر المعنى العام بالإيجاز. يبدأ الشيخ بمقدمة قصيرة حول اسم السورة، وعدد آياتها، وفي بعض السور يذكر عدد حروفها وكلماتها مما يدل على دقته في التفسير، وقد يبين الشيخ سبب نزول الآية ووجوه القراءات ووجوه النحو والصرف. وقد صرح الشيخ بأنه نقل من مجموعة من التفاسير كالفتوحات الإلهية لابن عمر الجمل، ومفاتيح الغيب للرازي، والسراج المنير للشربيني، وتنوير المقباس للفيروز آبادي، ومن تفسير أبي السعود.
٢ – تفسير البيان	
مؤلفه	هو الأستاذ الدكتور الشيخ محمد حسبي الصديقي ولد بمدينة لوكسماواي أتشيه بإندونيسيا سنة ١٩٠٤م. تلمذ على يد الشيخ أحمد سوكارتي السوداني مؤسس الإرشاد بسورابايا، له مؤلفات كثيرة في التوحيد والفقه والحديث والتفسير. توفي بجاكرتا سنة ١٩٧٥م.

منهجه	يبدأ الشيخ الصديقي تفسيره بالكلام حول القرآن وعلومه وتفسيره وأدب قراءة القرآن. وقد أكد الشيخ أن تفسيره هو الترجمة التفسيرية وأنه يترجم القرآن إلى اللغة الإندونيسية ويعلق على بعض الآيات التي تحتاج إلى مزيد من البيان. وقد يذكر بعض الآيات المتعلقة بالآية المفسَّرة للوصول إلى فهم متكامل للأية المقصودة.
٣ – تفسير الأزهر	
مؤلفه	هو الأستاذ الدكتور الحاج عبد الكريم أمر الله، ولد بمدينة تانجونج رايا سومطرى الغربية بإندونيسيا سنة ١٩٠٨م. عالم فيلسوف مفسر فقيه مؤرخ أديب من أدباء إندونيسيا له مؤلفات كثيرة في الأدب الإندونيسي. توفي سنة ١٩٨١م بجاكرتا.
منهجه	يحاول مؤلفه في تفسيره الجمع بين النقل والعقل وبين الرواية والدراية حتى يسير في النهج السليم، والابتعاد عن الاختلافات المذهبية والتعصب لفرق معينة. وقد أكد الأستاذ أنه تأثر في تفسيره بتفسير المنار للشيخ رشيد رضا، والتفسير المراغي، والتفسير القاسمي وتفسير سيد قطب المسمى بـ في ظلال القرآن. وفي تناول الآيات «العلمية» قد يستعين الأستاذ بمن يتمعن في ذلك المجال. يبدأ الأستاذ في تفسيره بترجمة الآيات إلى اللغة الإندونيسية ثم يبين سبب نزولها -إن وجد- ثم يبين تلك الآيات ويفسرها تفسيرا كافيا وقد يبحث بعض معاني الكلمات بحثا لغويا شاملا وقد يذكر الروايات الضعيفة لمناقشتها والرد عنها.

٤ – الإبريز لمعرفة تفسير الكتاب العزيز	
مؤلفه	هو الشيخ بصري مصطفى، ولد بـرمْبانْج سنة ١٩١٥م. عالم لغوي أديب له مؤلفات في النحو والصرف والبلاغة والمنطق. وتفسيره الإبريز من أكثر التفاسير تداولا في المعاهد الإسلامية بجاوى إندونيسيا. توفي سنة ١٩٧٧م.
منهجه	هذا التفسير مكتوب باللغة الجاوية، يراجع فيه مؤلفه قبل نشره إلى كبار القراء بجاوى الوسطى مثل العلامة الشيخ المقرئ أرواني أمين، والشيخ المقرئ هشام، والشيخ المقرئ شعراني أحمدي والشيخ أبو عمر. وقد أكد مؤلفه أنه يعتمد على التفاسير المعتبرة كتفسير الجلالين وتفسير البيضاوي وتفسير الخازن. يكتب الشيخ بصري الآية القرآنية في متن الكتاب بإضافة معانيها باللغة الجاوية بخط مائل كما هو العادة في المعاهد الإسلامية الجاوية، ثم يضع الترجمة التفسيرية في الحاشية، ثم يضيف البيانات اللازمة في مجموعة خاصة مثل «تنبيه» أو «فائدة» أو «مهمة» وغير ذلك.
٥ – تفسير المصباح	
مؤلفه	هو الأستاذ الدكتور قريش شهاب، ولد برفانج سولاوسي الجنوبية بإندونيسيا سنة ١٩٤٤م. تعلم بجامعة الأزهر وحصل على درجة الدكتوراه منها بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى. وكان مرجعا في التفسير وعلوم القرآن بإندونيسيا صاحب المركز للدراسات القرآنية بجاكرتا. وقد عمل وزيرا للشؤون الدينية في سنة ١٩٩٨–١٩٩٩م.

منهجه	يستخدم الدكتور قريش شهاب المنهج المقارن في تفسيره حيث يذكر أراء المفسرين ثم يختار منها الرأي الصحيح عنده، وكثيرا ينقل من رأي الإمام البقاعي ويتأثر به عند تناول وجه التناسب بين الآيات أو بين السور ويرى أن تفسير البقاعي ناجح في إظهار ضروب الإعجاز القرآني في تناسب الآيات والسور. يبدأ الدكتور بعرض الآية المفسرة وترجمتها الإندونيسية ثم يتناول المباحث المتعلقة بالأفكار الرئيسية للسورة وقد قسم كل سورة إلى أقسام حسب موضوعاتها ثم يشرح معاني الكلمات شرحا وافيا ثم يذكر وجه التناسب بين الآيات وبين السور، ويذكر الأحاديث المتعلقة بالآية وعادةً بحذف أسانيدها ودون ذكر ألفاظ الحديث العربية.

المبحث السابع والعشرون

الدخيل في كتب التفسير

إن التفسير لابد أن يصان من الأباطيل الزائفة التي تلبس الحق وتشوه صورة الإسلام. وإن من الأباطيل التي يجب على المسلمين التصدي لها والوقوف لها بالمرصاد ما دخل على التفسير من الإسرائيليات الموضوعة والأكاذيب المصنوعة التي تنفر الناس من الإسلام وتظهره بمظهر الدين الخرافي الذي يتنافى مع العقول السليمة والفطرة المستقيمة.

تعريف الدخيل:

الدخيل لغة ما ليس له أصل ثابت ولم يرتكز على أساس فيه. وأما في الاصطلاح فهو التفسير الذي لا أصل له على حين غرة وعلى غفلة من الزمن بفعل مؤثرات معينة بعد وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم-، كالأحاديث الموضوعة والإسرائيليات.

أنواع الدخيل:

أنواع الدخيل

الموضوعات

وهي جمع موضوع، اسم مفعول، وهو في اللغة مأخوذ من وضع الشيء يضعه وضعا، إذا حطه وأسقطه. أو من وضعت المرأة ولدها إذا ولدته. وأما في اصطلاح أئمة الحديث فالموضوع : هو الحديث المختلق المصنوع المكذوب على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. والموضوع من حيث مادته ونصه نوعان:

١- أن يضع الواضع كلاما من عند نفسه، ثم ينسبه إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- أو إلى الصحابي، أو التابعي.

٢- أن يأخذ الواضع كلاما لبعض الصحابة أو التابعين، أو الحكماء، والصوفية، أو ما يروى في الإسرائيليات، فينسبه إلى رسول الله؛ ليروج وينال القبول.

الإسرائيليات

وهي جمع إسرائيلية، نسبة إلى بني إسرائيل، وإسرئيل هو : يعقوب عليه السلام أي عبد الله. وبنو إسرائيل هم : أبناء يعقوب، ومن تناسلوا منهم فيما بعد، إلى عهد موسى ومن جاء بعده من الأنبياء، حتى عهد عيسى عليه السلام وحتى عهد نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-. وأما في الاصطلاح فهي الأخبار أو القصص أو الحوادث المروية عن مصدر يهودي إسرائيلي أو مصدر نصراني من معارفهم التي تدور حول التوراة والأناجيل والأسفار والتلمود والأساطير والخرافات، والأباطيل التي افتراها الحاخامون، أو تناقلوها عن غيرهم؛ وإنما سميت إسرائيليات لأن الغالب والكثير منها إنما هو من ثقافة بني إسرائيل، أو من كتبهم ومعارفهم، أو من أساطيرهم وأباطيلهم.

أسباب الدخيل:

أسباب الدخيل

أسباب انتشار الإسرائيليات

١ – مجاورة أهل الكتاب للعرب ودخول جماعة منهم في الإسلام وما نتج عن ذلك من أخذ كثير من الصحابة عن أهل الكتاب تفصيل ما أجمله القرآن من قصص الأنبياء وأخبار الأمم.

٢ – ترجمة التوراة وشروحها، فتوسع المفسرون والمؤرخون في الاستعانة بهذه الترجمات في تصوير الأخبار والقصص القرآنية.

أسباب انتشار الموضوعات

١ – حقد أعداء الإسلام بسبب اتساع رقعته وعلو كلمته، فيروّجون من الموضوعات لتشويه صورة الإسلام وخلخلة عقيدته في نفوس معتنقيه.

٢ – الزنادقة، وهم المبطنون للكفر والمظهرون للإسلام. فيقبلون على وضع الحديث والذي عليه يعتمد التفسير بالمأثور ليبعدوا الناس عن الدين الحنيف.

٣ – الخلافات السياسية. فقد سولت هذه الخلافات لضعفاء الإيمان أن يضعوا أحاديث تؤيد مذاهبهم وأحاديث في فضائل متبوعهم وفي مثالب مخالفيهم.

٤ – التقرب إلى الحكام. فأخذ ضعفاء الإيمان يضعون الأحاديث ويروّجون الأباطيل إرضاء لأولياء الأمور وتقربا إليهم.

٥ – ظهور الفتن وتفشى العصبية والتفرقة العنصرية فاتسعت حركة الوضع واختلاق الأحاديث في التفضيل والتكفير.

٦ – انتشار القصاص. فقد كان هؤلاء القصاص ينتشرون في المساجد يعظون الناس ويستميلونهم بقصص لا أصل لها طلبا للمال.

٧ – الجهل بالدين. فقد استباح بعض الزهاد والمتصوفة وضع الأحاديث والقصص في الترغيب والترهيب ظنا منهم أنهم يتقربون بذلك إلى الله ويخدمون دين الإسلام.

٨ – عدم التثبت في رواية الحديث ونقل كثير من الروايات من غير إسناد ومن غير تحر عن روايتها، فمن ثَمّ التبس الصحيح بالضعيف والحق بالباطل.

خطورة الدخيل في التفسير:

خطورة الدخيل في التفسير

١ – إن الدخيل يصور الدين الإسلامي بصورة الدين الخرافي الذي يهتم بالأباطيل ويعتني بها. ومن ذلك ما ذكره الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى: {الَّذِيْنَ يَحْمِلُوْنَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُوْنَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ (غافر\المؤمن: ٧)} من أن حملة العرش أرجلهم في الأرض السفلى ورؤوسهم خرقت العرش.

٢ – إن الدخيل يفسد عقيدة المسلم ويخرج به عن دائرة دينه حيث يحتوي ذلك من صور التشبيه والتجسيم ما لا يليق بالله. ومن ذلك ما ورد في سفر التكوين من أن الله تعالى لما فرغ من خلق الدنيا في ستة أيام استراح في اليوم السابع.

٣ – إن الاشتغال بهذا الدخيل يشغل المسلمين عن أمور الدين الأصلية والمهمة بما لا فائدة له. ومن أمثلة ذلك ما ورد في التفسير السمرقندي من الروايات حول أسماء أصحاب الكهف واسم كلبهم ولونه.

٤ – إن نسبة هذا الدخيل إلى بعض الثقات أضعفت الثقة فيهم حتى يهمل بعض المسلمين الأخذ عن هؤلاء الثقات لعدم اقتناعهم ببعض ما روي عنهم.

٥ – إن وجود الدخيل في التفسير يؤدي إلى ضياع جزء من التراث الصحيح الذي خلفه لنا أعلام المفسرين.

أقطاب الروايات الإسرائيلية	
عبد الله بن سلام	الصحابي الجليل عبد الله بن سلام الإسرائيلي ثم الأنصاري (ت ٤٣ ه)، وهو من ولد يوسف بن يعقوب، وكان حليفا للأنصار، ولما أسلم سماه الرسول -صلى الله عليه وسلم- «عبد الله»، وكان أحد الأحبار وقد اجتمع له علم التوراة والقرآن.
كعب الأحبار	كعب بن ماتع بن هيسوع الحميري (ت ٣٢ ه)، أصله من يهود اليمن، وهو من المحضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، يقال له كعب الأحبار وكعب الحبر نظرا لثراء معلوماته، فقد كان واسع الاطلاع على كتب اليهود.
السُّدّي	إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدّي (ت ١٢٧ ه)، القرشي الكوفي، أصله حجازي، كان يقعد في سُدّة باب الجامع بالكوفة؛ فسمي سدِّي، وهو إمام التفسير ويُعدّ من أكثر التابعين رواية للإسرائيليات بل فاق الإخباريين من بني إسرائيل.
ابن جريج	عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج (ت ١٥٠ ه)، القرشي الأموي مولاهم، الحافظ الفاضل، صاحب التصانيف، كان فقيه أهل مكة في زمانه، اعتمد على بعض الإسرائيليات في التفسير ولكنه لم يكن مكثرا منها.
وهب بن منبِّه	وهب بن منبه بن كامل اليماني (ت ١١٠ ه)، الإخباري القصصي، أدرك بعض الصحابة، كان مكثرا من قراءة كتب أهل الكتاب، روى عنه الطبري أنواعا من الإسرائيليات.

قتادة	قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي (ت ١١٨ ه)، كان قوي الحافظة، واسع الاطلاع في الشعر العربي، بصيرا بأيام العرب، عليما بأنسابهم، ضليعا في اللغة العربية.
ابن إسحاق	محمد بن إسحاق بن يسار (ت ١٥٠ ه)، العلامة الإخباري صاحب السيرة النبوية، رأى أنس بن مالك وسعيد بن المسيب، كان إماما في معرفة السير والمغازي، مكْثرا من التحديث والروايات.

بعض النماذج من الدخيل في كتب التقسير:

وقد ذكر الدكتور محمد أبو شهبة في كتابه عدة الروايات الإسرائيلية والموضوعة في كتب التفسير نذكر منها ما يلي:

- الإسرائيليات والموضوعات في قصة هاروت وماروت :

روى السيوطي في الدر المنثور، في تفسير قوله تعالى : {وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوت (البقرة: ١٠٢)} روايات كثيرة وقصصا عجيبة رويت عن ابن عمر، وابن مسعود، وعلي، وابن عباس، ومجاهد، وكعب، والربيع، والسدي، ورواها ابن جرير الطبري في تفسيره.

وخلاصتها: أنه لما وقع الناس من بني آدم فيما وقعوا فيها من المعاصي والكفر بالله ، قالت الملائكة في السماء: أي رب، هذا العالم إنما خلقتهم لعبادتك، وطاعتك، وقد ركبوا الكفر، وقتل النفس الحرام، وأكل المال الحرام، والسرقة، والزنا، وشرب الخمر، فجعلوا يدعون عليهم، ولا يعذرونهم فقيل لهم: إنهم في غيب، فلم يعذروهم، وفي بعض الروايات أن الله قال لهم: لو كنتم مكانهم لعملتم مثل أعمالهم، قالوا: سبحانك

ما كان ينبغي لنا، وفي رواية أخرى: قالوا: لا. فقيل لهم: اختاروا منكم ملكين آمرهما بأمري، وأنهاهما عن معصيتي، فاختاروا هاروت، وماروت، فأهبطا إلى الأرض، وركبت فيهما الشهوة، وأمرا أن يعبدا الله، ولا يشركا به شيئا، ونهيا عن قتل النفس الحرام، وأكل المال الحرام، والسرقة، والزنا، وشرب الخمر، فلبثا على ذلك في الأرض زمانا، يحكمان بين الناس بالحق، وفي ذلك الزمان امرأة حسنها في سائر الناس كحسن الزهرة في سائر الكواكب، وأنهما أراداها على نفسها، فأبت إلا أن يكونا على أمرها ودينها، وأنهما سألاها عن دينها، فأخرجت لهما صنما، فقالا: لا حاجة لنا في عبادة هذا، فذهبا فصبرا ما شاء الله، ثم أتيا عليها، فخضعا لها بالقول، وأراداها على نفسها، فأبت إلا أن يكونا على دينها، وأن يعبدا الصنم الذي تعبده، فأبيا، فلما رأت أنهما قد أبيا أن يعبدا الصنم، قالت لهما: اختارا إحدى الخلال الثلاث: إما أن تعبدا هذا الصنم، أو تقتلا النفس، أو تشربا هذا الخمر، فقالا: هذا لا ينبغي، وأهون الثلاثة شرب الخمر، وسقتهما الخمر، حتى إذا أخذت الخمر فيهما وقعا بها فمر بهما إنسان، وهما في ذلك، فخشيا أن يفشي عليهما، فقتلاه، فلما أن ذهب عنهما السكر، عرفا ما قد وقعا فيه من الخطيئة، وأرادا أن يصعدا إلى السماء، فلم يستطيعا وكشف الغطاء فيما بينهما، وبين أهل السماء، فنظرت الملائكة إلى ما قد وقعا فيه من الذنوب، وعرفوا أنه من كان في غيب فهو أقل خشية فجعلوا بعد ذلك يستغفرون لمن في الأرض، فلما وقعا فيما وقعا فيه من الخطيئة، قيل لهما: اختارا عذاب الدنيا، أو عذاب الآخرة، فقالا: أما عذاب الدنيا فينقطع ويذهب، وأما عذاب الآخرة فلا انقطاع له، فاختارا عذاب الدنيا فجعلا ببابل فهما بها يعذبان معلقين بأرجلهما، وفي بعض الروايات، أنهما علماها الكلمة التي يصعدان بها إلى السماء، فصعدت، فمسخها الله، فهي هذا الكوكب المعروف بالزهرة.

التفسير الصحيح:

وليس في الآية ما يدل ولو من بعد على هذه القصة المنكرة، وليس السبب في نزول الآية ذلك، وإنما السبب: أن الشياطين في ذلك الزمن السحيق كانوا يسترقون السمع من السماء، ثم يضمون إلى ما سمعوا أكاذيب يلفقونها، ويُلْقُونها إلى كهنة اليهود وأحبارهم. وقد دوَّنها هؤلاء في كتب يقرؤونها، ويعلمونها الناس، وفشا ذلك في زمن سليمان عليه السلام حتى قالوا: هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه إلا بهذا العلم ، وبه يسخر الإنس، والجن، والريح التي تجري بأمره، وهذا من افتراءات اليهود على الأنبياء، فأكذبهم الله بقوله: {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ}. ثم عطف عليه: {وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ} فالمراد بما أنزل هو: علم السحر الذي نزلا ليعلماه الناس، حتى يحذروا منه، فالسبب في نزولهما هو: تعليم الناس أبوابا من السحر، حتى يعلم الناس الفرق بين السحر والنبوة، وأن سليمان لم يكن ساحرا، وإنما كان نبيا مرسلا من ربه، وقد احتاط الملكان عليهما السلام غاية الاحتياط، فما كانا يُعلِّمان أحدا شيئا من السحر حتى يُحذِّراه، ويقولا له: إنما نحن فتنة أي بلاء واختبار، فلا تكفر بتعلمه والعمل به، وأما من تعلمه للحذر منه، وليعلم الفرق بينه وبين النبوة والمعجزة؛ فهذا لا شيء فيه، بل هو أمر مطلوب، مرغوب فيه إذا دعت الضرورة إليه، ولكن الناس ما كانوا يأخذون بالنصيحة، بل كانوا يفرقون به بين المرء وزوجه، وذلك بإذن الله ومشيئته، وقد دلت الآية: على أن تعلم السحر لتحذير الناس من الوقوع فيه والعمل به مباح، ولا إثم فيه، وأيضا تعلمه؛ لإزالة الاشتباه بينه، وبين المعجزة، والنبوة مباح، ولا إثم فيه، وإنما الحرم والإثم في تعلمه أو تعليمه للعمل به، فهو مثل ما قيل: عرفت الشر لا للشر لكن لتوقِّيهِ ومن لا يعرف الشر من الناس يقعْ فِيهِ واليهود عليهم لعائن الله لما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يعلمون أنه النبي الذي بشرت به التوراة حتى كانوا يستفتحون به على المشركين قبل ميلاده

وبعثته، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به، ونبذوا كتابهم التوراة، وكتاب الله القرآن وراء ظهورهم، وبدل أن يتبعوا الحق المبين اتبعوا السحر الذي توارثوه عن آبائهم والذي علمتهم إياه الشياطين، وكان الواجب عليهم أن ينبذوا السحر، ويحذروا الناس من شره، وذلك كما فعل الملكان: هاروت وماروت من تحذير الناس من شروره، والعمل به.

- **الإسرائيليات والموضوعات في قوله تعالى : {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأى بُرْهَانَ رَبِّه (يوسف: ٢٤)}**

ذكر ابن جرير في تفسيره، والسيوطي في "الدر المنثور" وغيرهما من المفسرين في قوله تعالى: {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأى بُرْهَانَ رَبِّه} فقد ذكروا في هم يوسف عليه الصلاة والسلام ما ينافي عصمة الأنبياء وما يخجل القلم من تسطيره، فقد رووا عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن هم يوسف عليه السلام ما بلغ ؟ قال: حل الهميان -يعني السراويل- وجلس منها مجلس الخائن، فصيح به: يا يوسف: لا تكن كالطير له ريش، فإن زنى قعد ليس له ريش، ورووا مثل هذا عن علي رضي الله عنه وعن مجاهد وعن سعيد بن جبير.

التفسير الصحيح:

والصحيح في تفسير قوله تعالى : {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأى بُرْهَانَ رَبِّه} أن الكلام تم عند قوله تعالى : {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِه} وليس من شك في أن همها كان بقصد الفاحشة، {وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأى بُرْهَانَ رَبِّهِ}. الكلام من قبيل التقديم والتأخير، والتقدير: ولولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها، فقوله تعالى: {وهم بها}، جواب "لولا" مقدم عليها ومعروف في العربية أن "لولا" حرف امتناع لوجود، أي : امتناع الجواب لوجود الشرط، فيكون الهم ممتنعا لوجود البرهان الذي ركزه الله في فطرته، والمقدم إما الجواب، أو دليله على

الخلاف في هذا بين النحويين، والمراد بالبرهان: هو حجة الله الباهرة الدالة على قبح الزنا وهو شيء مركوز في فطر الأنبياء، ومعرفة ذلك عندهم وصل إلى عين اليقين، وهو ما نعبر عنه بالعصمة، وهي التي تحول بين الأنبياء والمرسلين وبين وقوعهم في المعصية.

- الإسرائيليات والموضوعات في قصة داود عليه السلام :

ذكر ابن جرير، وابن أبي حاتم، والبغوي، والسيوطي في: "الدر المنثور" عند تفسير قوله تعالى: {وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ، إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ، إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ، قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ، فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (ص: ٢١-٢٤)}. عن ابن عباس، ومجاهد، ووهب بن منبه، وكعب الأحبار، والسدي، وغيرهم ما محصلها: أن داود عليه السلام حدث نفسه: إن ابتلي أن يعتصم فقيل له: إنك ستبتلى وستعلم اليوم الذي تبتلى فيه، فخذ حذرك، فقيل له: هذا اليوم الذي تبتلى فيه فأخذ الزبور، ودخل المحراب، وأغلق بابه، وأقعَدَ خادمه على الباب، وقال: لا تأذن لأحد اليوم، فبينما هو يقرأ الزبور، إذ جاء طائر مذهب يدرج بين يديه، فدنا منه، فأمكن عليه لينظر أين وقع، فإذا هو بامرأة عند بركتها تغتسل من الحيض، فلما رأت ظله نفضت شعرها، فغطت جسدها به، وكان زوجها غازيا في سبيل الله، فكتب داود إلى رأس الغزاة: أن اجعلْه في حملة التابوت، وكان حملة التابوت إما أن يفتح عليهم، وإما أن يقتلوا، فقدمه في حملة التابوت، فقُتِل، وفي بعض هذه الروايات الباطلة أنه فعل ذلك ثلاث مرات، حتى قتل في الثالثة، فلما انقضت عدتها،

خطبها داود عليه السلام، فتسور عليه الملكان، وكان ما كان، مما حكاه الله تعالى : "رُفِع ذلك إلى النبي".

التفسير الصحيح:

إن داود عليه السلام كان قد وزع مهام أعماله، ومسئولياته نحو نفسه، ونحو الرعية على الأيام، وخص كل يوم بعمل، فجعل يومًا للعبادة، ويومًا للقضاء وفصل الخصومات، ويومًا للاشتغال بشئون نفسه وأهله، ويومًا لوعظ بني إسرائيل ففي يوم العبادة: بينما كان مشتغلا بعبادة ربه في محرابه، إذ دخل عليه خصمان تسورا عليه من السور، ولم يدخلا من المدخل المعتاد، فارتاع منهما، وفزع فزعًا لا يليق بمثله من المؤمنين، فضلًا عن الأنبياء المتوكلين على الله غاية التوكل، الواثقين بحفظه، ورعايته. وظن بهما سوءا، وأنهما جاءا ليقتلاه، أو يبغيا به شرًّا، ولكن تبين له أن الأمر على خلاف ما ظن، وأنهما خصمان جاءا يحتكمان إليه، فلما قضى بينهما، وتبين له أنهما بريئان مما ظنه بهما، استغفر ربه، وخر ساجدا لله تعالى؛ تحقيقًا لصدق توبته والإخلاص له، وأناب إلى الله غاية الإنابة.

ومثل الأنبياء في علو شأنهم، وقوة ثقتهم بالله والتوكل عليه ألا تعلق نفوسهم بمثل هذه الظنون بالأبرياء، ومثل هذا الظن وإن لم يكن ذنبا في العادة، إلا أنه بالنسبة للأنبياء يعتبر خلاف الأولى.

-الإسرائيليات والموضوعات في قصة إرم ذات العماد :

ومن الإسرائيليات ما يذكره بعض المفسرين: كالطبري، والثعلبي، والزمخشري، وغيرهم في تفسير قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ، إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ، الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ (الفجر: ٦-٨)}. فقد زعموا أن إرم مدينة، وذكروا في بنائها، وزخارفها ما

هو من قبيل الخيال، ورووا في ذلك: أنه كان لعادٍ ابنان: شداد، وشديد، فملكا وقهرا، ثم مات شديد وخلص الأمر لشداد فملك الدنيا، فسمع بذكر الجنة، فقال: أبني مثلها، فبنى إرم في بعض صحاري عدن في ثلاثمائة سنة، وكان عمره تسعمائة سنة، وهي مدينة عظيمة، وسورها من الذهب والفضة، وأساطينها من الزبرجد والياقوت، ولما تم بناؤها سار إليها بأهب مملكته، فلما كان منها مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء، فهلكوا.

التفسير الصحيح للآية :

والصحيح في تفسير الآية: أن المراد بعاد، إرم ذات العماد، قبيلة عاد المشهورة، التي كانت تسكن الأحقاف، شمالي حضرموت، وهي عاد الأولى، التي ذكرها الله سبحانه في سورة النجم، قال سبحانه: {وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى (النجم: ٥٠)}، ويقال لمن بعدهم: عاد الآخرة وهم ولد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح، قال ابن إسحاق وغيره: وهم الذين بعث فيهم رسول الله هودًا عليه السلام فكذبوه، وخالفوه، فأنجاه الله من بين أظهرهم، ومن آمن معه منهم، وأهلكهم {بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ، سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ، هَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَة (الحاقة: ٦-٨)}.

وقد ذكر الله قصتهم في القرآن في غير ما وضع؛ ليعتَبِر بمصرعهم المؤمنون، فقوله تعالى : {إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَاد}: بدل من عاد أو عطف بيان زيادة تعريف بهم، وقوله تعالى: {ذَاتِ الْعِمَادِ} لأنهم كانوا في زمانهم أشد الناس خلقة، وأعظمهم أجساما، وأقواهم بطشا، وقيل: ذات الأبنية التي بنوها، والدور، والمصانع التي شادوها، وقيل: لأنهم كانوا يسكنون بيوت الشعر التي ترفع بالأعمدة الغلاظ الشداد، والأول أصح وأولى، فقد ذكرهم نبيهم هود بهذه النعمة، وأرشدهم إلى أن يستعملوها في طاعة الله تبارك وتعالى

الذي خلقهم ومنحهم هذه القوة فقال: {وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (الأعراف: ٦٩)}. وقوله هنا : {الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلاد (الفجر: ٨)} أي القبيلة المعروفة المشهورة التي لم يخلق مثلها في بلادهم، وفي زمانهم؛ لقوتهم، وشدتهم وعظم تركيبهم.

وليس معنى قوتهم، وعظم خلقهم، وشدة بطشهم، أنهم خارجون عن المألوف في الفطرة، فمن ثم لا نكاد نصدق ما روي في عظم أجسامهم، وخروج طولهم عن المألوف المعروف حتى في هذه الأزمنة، فقد روى ابن جرير في تفسيره، وابن أبي حاتم وغيرهما عن قتادة قال: كنا نحدث أن إرم قبيلة من عاد، كان يقال لهم: ذات العماد، كانوا أهل {الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلاد}، قال: ذكرنا لنا أنهم كانوا اثنى عشر ذراعا طولا في السماء، ورأى محمد بن أبي شهبة أن هذا من جنس ما روي في العماليق، وأن من ذكر لهم ذلك هم أهل الكتاب الذين أسلموا، وأنه من الإسرائيليات المختلَقَة.

ومما ورد فيه الدخيل من الإسرائيليات والموضوعات، ما ذكره السيوطي في "الدر المنثور" في قصة أيوب عليه السلام في قوله تعالى {أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ، ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ، وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ، وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (ص: ٤١-٤٤)}. ومن ذلك ما ذكره ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والثعلبي، وغيرهم من المفسرين فيما يتعلق بخلق الشمس والقمرعند تفسير قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا (الإسراء: ١٢)}. ومن ذلك ما ذكره ابن جرير، وابن أبي حاتم ، والثعلبي ، والبغوي ، وغيرهم في تفاسيرهم في قصة سليمان عليه السلام عند تفسير قوله تعالى : {وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (ص: ٣٤)}. ومن ذلك ما ذكره السيوطي في الدر المنثور في قصة

يأجوج ومأجوج من الإسرائيليات التي اتسمت بالغرابة، والخروج عن سنة الله في الفطرة، وخلق بني آدم عند قوله تعالى : {قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (الكهف: ٩٤)}. فقد ذكر عن يأجوج ومأجوج الشيء الكثير من العجائب والغرائب.

خاتمة

وبعد هذا التطواف الطويل حول علوم القرآن والتفسير وما يتعلق بهما من مباحث مهمة يحتاج إليها المتمعن في علوم القرآن والتفسير بقي أن نشير إلى أهم الفوائد التي نستخلصها من هذا الكتاب الصغير:

١. أهمية هذا العلم لكل من يتصدى لفهم القرآن وتفسيره إذ به يعرف القارئ الطريق الصحيح عند فهم القرآن وتقسيره.

٢. أن استقصاء علوم القرآن والتفسير يحتاج إلى جهد جهيد وعمر مديد لا تتسع له المجهودات الفردية، ومن هنا نقول إن علوم القرآن والتفسير واسع ولا يمكن تحديده في مباحث مختصرة وفي صفحات قليلة. فعلى علماء الأمة أن يتجردوا لهذه المهمة البالغة الأهمية للتحقق من صحة فهم الأمة لهذا القرآن وتفسيره.

هذا وإن كنت لم أستقص كل ما في القرآن من علوم، فإن العزم معقود إن شاء الله تعالى على مواصله الدراسة والبحث في هذا الموضوع المهم الذي يمس أقدس مقدساتنا وهو القرآن الكريم، والأمل في الله كبير أن يحقق لنا هذا القصد وهو خير مأمول.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وأستغفر الله من جميع الخطيئات، ونسأل الله تعالى أن يتقبل منا هذا العمل بالقبول الحسن، وأن يجزينا بالجزاء الأوفى في الدار الآخرة وأن يرحم والدينا ومشايخنا وكل من له حق علينا، وأن يمتعنا بالنظر إلى وجهه الكريم وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، بيروت، دار المعرفة، ١٩٩٤م.

جلال الدين السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، القاهرة، دار مصر للطباعة، دت.

رشاد حسن علي، **أباطيل يجب أن تمحى من التفسير**، سوهاج، مطبعة زهران، دت.

محمد بن محمد أبو شهبة، **الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير**، القاهرة، مكتبة السنة، دت.

محمد حسين الذهبي، **التفسير والمفسرون**، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٩٥م.

محمد سيد طنطاوي، **التفسير الوسيط**، القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٢م.

محمد عبد العظيم الزقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، بيروت، دار المعرفة، ١٩٩٩م.

محمد عبد الله دراز، **النبأ العظيم**، كويت، دار القلم، ١٩٩٦ م.

مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن**، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م.

وهبة الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، دمشق، دار الفكر، ٢٠١١م.

المؤلف في سطور

- ولد في مدينة جومبانج بإندونيسيا (١٩٧٩م)
- حصل على :

شهادة الابتدائية الإسلامية (جومبانج) ١٩٩١م،

شهادة الإعدادية الإسلامية (جومبانج) ١٩٩٤م،

شهادة الثانوية الإسلامية (جمبر) ١٩٩٧م،

والليسانس في التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين– جامعة الأزهر بمصر– ٢٠٠٢م،

ودرجة التخصص (الماجستير) في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها – معهد الخرطوم الدولي للغة العربية بالسودان– ٢٠٠٤م،

والدرجة العالمية (الدكتوراه) في المنهج وطرق التدريس – جامعة النيلين بالسودان– ٢٠٠٧م.

- تعلم القرآن بمعهد سونن فانداناران الإسلامي لتحفيظ القرآن بسليْمان يوكياكرتا ١٩٩٧–١٩٩٨.
- عمل مشرفا على بعثة جاوى الشرقية لمسابقة تلاوة القرآن الوطنية – قسم تفسير القرآن باللغة العربية.
- يعمل الآن مدرِّسا للغة العربية واللسانيات الحديثة وطرائق تدريس اللغة العربية

بكلية التربية وكلية الدراسات العليا- جامعة سونن أمبيل الإسلامية الحكومية بسورابايا-.

- ويعمل مدرسا زائرا في كلية الدراسات العليا بجامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج.
- يعمل أيضا مدرسا لعلم الدلالة والمعاجم وعلم اللغة الاجتماعي بكلية الدراسات العليا – جامعة دار الدعوة واللغة ببانجيل باسورروان.
- يعمل أيضا مدرسا لعلوم القرآن بكلية الدراسات العليا – الجامعة الإسلامية الحكومية تولونج أجونج.
- يعمل أيضا مديرا لداخلية هداية القرآن للتحفيظ والدراسة القرآنية بمعهد دار العلوم الإسلامي، فتيرونجان جومبانج جاوى الشرقية.